الجمهوريـــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــة الشعبية
وزارة التعليم العـــالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كليـــة العلوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر الموسومة بـــ:

إسهامات الأمير عبد القادر العلمية والدينية، السياسية والاجتماعية في بلاد الشام (1852م. 1883م).

إعداد الطلبة:

- وذان سفيان
- فرطاس حسين

تحت إشراف :

د . حرشوش كريمة

لجنة المناقشة:

د. حمري ليلى..... رئيسا

د. حرشوش كريمة.....مشرفا ومقررا

د.خنفار الحبيب ..... مناقشا

الموسم الجامعي:(1439. -1440 هـ) الموافق لـ (2018- 2019م).

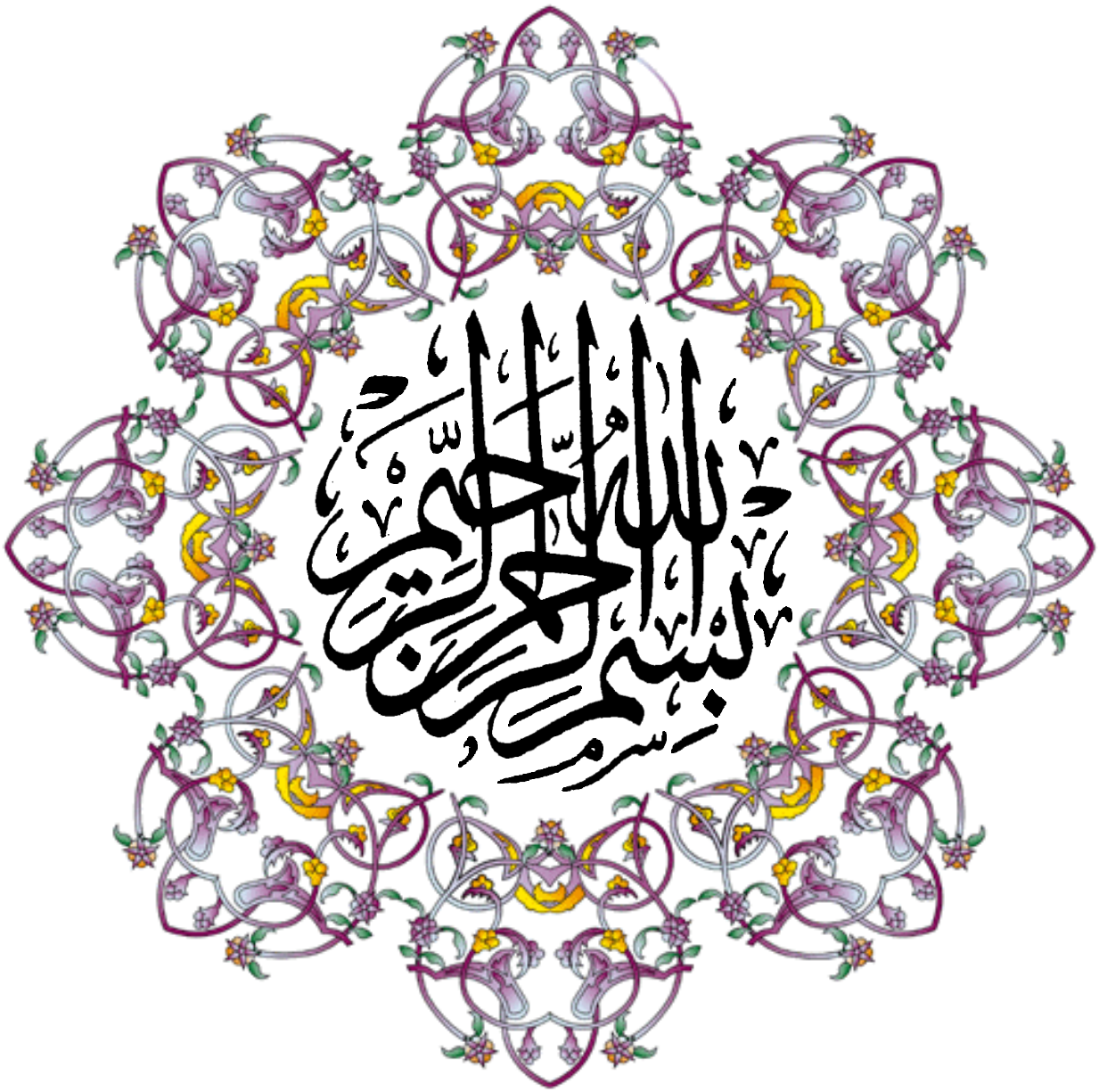
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان :

لأن الكلمات هي كل ما نملك إزاء من غمرونا بالجميل، ولأن الشكر هو أقل الاعتراف بهذا الجميل .

" قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا "

الى أساتذة " ابن خلدون " الكرام، الى كل من كانت له قطرة حبر في سبيل الله، والى من علمنا حرفا أو زادنا بالعناية شرفا (الأستاذة حرشوش كريمة)

شكرا: ـ شينها: شمع وشهد وشرف

شمعة طرزت بشهد نحلة، أضاءت بنورها لكم

ـ كافها: كوثر وكرم وتكريم

كرم الله منه وكوثر، سقانا الله منه شربة واياكم

ـ راؤها: راية وروضة ورائحة

راية جهاد في روضة العلم، روائحها عطرة بكم

ـ ألفها: أمل وأمانة وأصالة

أمل الاقتداء وحمل أمانة، أصالة ورثناها منكم

إهداء

قال تعالى: " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا " صدق الله العظيم

- إلى العزيزة والغالية أمي أمي أمي أطال الله في عمرها

- و إلى سندي في هذه الحياة أبي الغالي اطال الله في عمره

وإلى جدي و جدتي وكل عائلتي الكبير منهم والصغير: أخي مصطفى ومحمد وعبد الكريم وأخواتي العزيزات، البرعم الصغير عبد الودود وخلود وحذيفة وسهى ورحاب وهبة الرحمان وأسماء وحياة وعلاء الدين وعماد الدين وحليم و وليد وجليل واسلام وامين وفؤاد وبلال ونصر الدين ....

- وكما اهدي هذا العمل الى اخوتي جميعا: عمر واحمد وبودالي وامين وزكريا ويوسف ومصطفى ومحمد و خالد ولميلود و عبد الهادي ولدغم وجلول وحسين و يونس وعكاشة وبوعلام وبلخير ولمرسلي وعبد الحق..

دون ان انسى اصدقاء طفولتي دون ترتيب: عبدالكريم وبن عودة وبونوار وابراهيم و...

ولا انسى الأستاذة حرشوش وزوجها عبد الكريم

وذان سفيان

إهداء

الحمد لله الذي مهما حمدناه فلن نستوفي حمده والصلاة والسلام على الصادق الأمين مُحَمَّد عليه أفضل ال الصلوات وأزكى التسليم أهدي هذه الثمرة المتواضعة الى:

النور الذي ينير لي درب النجاح أبي أطال الله في عمره

الى من علتني الصمود مهما تبدلت الظروف أمي حفظها الله لي

الى من كانو يضيئون لي الطريق ويساندونني ويتنازلون عن حقوقهم:

ميلود صادق خالد و كل أخواتي العزيزات الغالين على قلبي الكتاكيت الصغار ميلود عبد الجليل ويونس وأشرف مُحَمَّد و نعيمة

والى كل من أحسني مصدر اهتمامه وساعدني في اتمام هذا العمل المتواضع سفيان والأستاذة المشرفة حرشوش كريمة

الى كل من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي

الى كل طلبة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية وطلبة شعبة التاريخ خاصة

الى كل أساتذة جامعة ابن خلدون

فرطاس حسين

أ ـ باللغة العربية:

الرمز	المعنى
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
د س	دون سنة
مج	مجلد
تع	تعليق
تح	تحقيق
ج	جزء
هـ	هجري
م	ميلادي
ط.خ	طبعة خاصة
ص	صفحة
تر	ترجمة
ط	طبعة
ع	عدد
تق	تقديم
ش ت ت	الشركة التونسية للتوزيع
م ك ث ط ن ت	مؤسسة الكتاب الثقافية للطبع والنشر والتوزيع
ش و ن ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ب . باللغة الاجنبية:

R A	REVUE AFRICAINE
E D	EDITION
P	PAGES
PP	DE LA PAG A LA PAGES
S D	SANS DATE
F	FOULLION
ED	EDTION DIDIER
IBID	IBIDEM
N	NUMERO

مقدمة

يمثل النصف الأول من القرن التاسع عشر لاسيما الثلاثينيات منه والأربعينيات حلقة هامة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إذ شهدت بروز حراكا سياسيا وعسكريا فرض نفسه بإلحاح على كبار المؤرخين والباحثين في هاته الفترة. حيث عرفت بزوغ شمس جديدة بظهور شخصية جزائرية ميزت هذا القرن وفرضت نفسها على العدو قبل الصديق ودفعته للاعتراف بها، إنها شخصية الأمير عبد القادر إذ شكلت هاته الشخصية محور اهتمام ومحل دراسة من قبل الباحثين سواء عربا كانوا أو أجانب فلا تكاد تخلو كتبهم عن تاريخ الجزائر إلا وجدنا بابا أو عنصرا كاملا خصص للحديث عن الأمير عبد القادر، ولكن نجد معظم الكتابات إن لم نبالغ ونقل كلها تتحدث على الجانب العسكري في شخصيته بتناول الحروب التي قادها الأمير عبد القادر ضد جيوش الاحتلال الفرنسي، ونظرا لأن الجانب العسكري قد استوفى حقه من الدراسة والاهتمام رأينا الغوص في شخصية الرجل وطرح إشكالات تهتم بشخصية الأمير عبد القادر أو مدى إخفاء صفته الدينية والسياسية والاجتماعية، بعيدا عن كفاحه المسلح ومقاومته أي . هل يمكن الحديث عن ما قدمه الأمير عبد القادر من إسهامات سياسية واجتماعية ودينية خارج عبوة الكفاح المسلح وفي مجال جغرافي مغاير مثل بلاد الشام التي أقام فيها حتى غيبته بثراها الخالد إثر تواجده بها؟

وفي محاولة منا للارتقاء بالموضوع إلى المستوى المطلوب كان لابد من تسليط الضوء على عدة جوانب والإلمام بها مثل نسب الأمير وتعليمه ومنشئه والبيئة التي شحذت شخصيته الفذة، في المكان والوقت المناسبين. وثم التطرق لمقاومته التي استقامت الجزائر من خلالها مدينة سياسية وسيادية وشرعية، وحق في المقاومة دون نسيان فترة السجن التي قضاها الأمير عبد القادر بين جدران السجون الفرنسية، كالسنين التي قضاها في قصر "أمبواز" ومن ثم التطرق إلى انتقاله إلى بلاد الشام ودور الأمير عبد القادر الذي لم يبخل بنوره و عطره، وذلك بما أضافه من علم ودين، و إسهامات سياسة و اجتماعية طالما كان لها دور عظيم، وعليه يمكننا من خلال كل

هذا صياغة الإشكال الخاص بنا كالآتي: فيما تمثلت إسهامات الأمير عبد القادر السياسية والاجتماعية والدينية في بلاد الشام؟

ولتسهيل الدراسة توجب علينا تفكيك الإشكال الخاص إلى أسئلة جزئية حسب المجالات المختلفة لدراسة الموضوع وكانت على النحو التالي:

1. ماهي الدعائم الأساسية التي على اساسها بنى الأمير عبد القادر بها شخصيته ؟

2- ماهي الصورة التي قدمها الأمير عبد القادر في المنفى ؟

3- فيما تمثلت اهتمامات الأمير عبد القادر العلمية و الدينية في بلاد الشام ؟

4. كيف كانت إسهاماته السياسية و الاجتماعية في نفس البلد ؟

ونظرا لطبيعة الموضوع والمادة العلمية المتوفرة كان العاملان المتحكمان في تحديد المنهج المتبع، ونظرا لطبيعة الموضوع الذي اكتسى طابعا تاريخيا ذو صبغة سياسية واجتماعية وأخرى دينية، فقد توجب علينا إتباع المنهج التاريخي السردي وذلك حسب ما تطلبته الدراسة من خلال عرض مراحل مختلفة من حياة الأمير عبد القادر، وكذا الاطلاع على حياته الجهادية وحياته داخل المعتقلات مثلا كحياته اليومية في السجن والسفر وإسهام في بلاد الشام، إلى جانب المنهج التحليلي الذي اعتمدنا عليه في تحليل النصوص التاريخية وذلك أثناء تحليلنا للإشكاليات المطروحة سابقا و غربلة المادة الدراسية عن طريق التدقيق والتحقيق وذلك خدمة عملية منهجية المراد منها وصف الواقع وتفسيره، وهو ما قادنا إلى الانطلاق من العام الى الخاص أثناء خطة البحث، وكذا دراسة المصادر التي تيسر لنا الاعتماد عليها في دراسة المادة العلمية واستقرائها وتوظيفها، وفي مسار رحلتنا البحثية قصد الإجابة على الإشكال المطروح وكذا الأسئلة المنبثقة عنه فرض علينا ضبط الموضوع خدمة حلقات مسلسلة مكملة لبعضها البعض ما استوجب منا إتباع خطة بحث اشتملت على:

"مقدمة عامة" للموضوع المدروس تتضمن طرح إشكالية الموضوع وأهميته بالإضافة إلى ثلاث فصول وخاتمة عامة تتضمن النتائج المتوصل إليها من البحث بالإضافة إلى بعض الملاحق ذات الصلة بالموضوع.

وقد خصصنا الفصل التمهيدي كدراسة حول نسب الأمير عد القادر ونشأته وتعليمه وبنائه للدولة الجزائرية، حتى نعطي فكرة عن البيئة التي ترعرع فيها الأمير واكتسب منها مقومات شخصيته.

الفصل الأول: سنعرج فيه على المحطة الأخيرة من مقاومة الأمير عبد القادر واصطدامه بالجنرال بيجو وصولا إلى معاركه الأخيرة في حدود المغرب، والسنين التي قضاها في السجن وانتقاله إلى تركيا و بعدها إطلاق سراحه من طرف نابليون الثالث سنة 1862م.

الفصل الثاني: وقد انصب اهتمامنا فيه دراسة الإشكالية العامة للدراسة حيث حاولنا أن نتطرق إلى تحليل وتقديم دراسة تفسر مدى تأثير الدور الذي لعبه الأمير وانعكاسه على الوضع في بلاد الشام وكيف استفادت بلاد الشام من الانفتاح العلمي والسياسي والديني الذي قدم بقدوم الأمير عبد القادر إلى دمشق.

واختتم الموضوع في الأخير بخاتمة عامة استملت على النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث في هذا الموضوع الذي يتطلب المزيد من الاهتمام وآفاق دراسية جديدة حتى يبقى المجال مفتوحا للدراسة والبحث فيه مستقبلا نظرا لما يحمله من أهمية ومكانة حساسة من تاريخ الأمير عبد القادر على المستوى العربي والإسلامي الحافل بالمواقف.

وقد اعتمدنا في مشروعنا العلمي هذا على جملة من المصادر والمراجع من بينها:

ـ "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر" لصاحبه مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، و الذي أفادنا في جمع المادة العلمية المتعلقة بوصول الأمير عبد القادر إلى دمشق وأسباب الفتنة وما بعدها

- "نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان"، لأبكريوس إسكندر بن يعقوب الذي افادنا في معرفة الطوائف التي كانت موجودة في بلاد الشام وأسباب الفتنة.

ـ "حياة الأمير عبد القادر"، لشارل هنري تشرشل ، ساعدنا في الجانب العلمي والديني للأمير عبد القادر.

Dupush, Abdelkader au château d'amboidse 18

والذي استفدنا منه في مواضع مختلفة من دراستنا باعتبار مصدر متخصص باعتباره قد زار الأمير عبد القادر عدة مرات في المعتقل وجمعت بينهما حوارات سياسية ودينية.

ـ Paul AZAN. Sidi Brahim. Richomare Biographique enter national.

الذي أفادنا كثيرا في استسقاء المعلومات الخاصة بالمعارك الأخيرة التي قادها الأمير عبد القادر ضد المغاربة والفرنسيين.

ـ "عبد القادر الجزائري" العالم المجاهد لمألفه برونو ايتين و ترجمة ميشيل خوري: الذي أفادنا في معرفة نسب الأمير عبد القادر ونشأته.

ـ"الأمير عبد القادر وإسهاماته في النهضة العربية بالجزائر وبلاد الشام 1832-1860" مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، لحرشوش كريمة والتي أفادتنا وبشكل كبير في أخذ فكرة عامة حول الموضوع وجمع المصادر والمراجع الملمة بالموضوع.

، بالإضافة إلى مصادر ومراجع أخرى عديدة ومتنوعة تعذر علينا ذكرها كلها في مقدمة بحثنا.

وقد اعترضتنا جملة من المصاعب والعراقيل التي لم تثني من عزيمتنا في إعطاء هذا الموضوع ما استحقه من اهتمام واجتهاد حتى نقدم عرضا يليق بمقامه في تاريخ الجزائر خاصة الحديث منه والمعاصر ولعل أبرز المعيقات التي واجهتنا هي:

1. صعوبة الترجمة والتي افتقادها للدقة اللازمة من الفرنسية إلى العربية رغم محاولاتنا قدر المستطاع التوصل إلى المعنى على وجه التقريب أو ما يتلاءم مع دراستنا.

2. صعوبة الحصول على بعض المصادر التي استحال علينا الحصول عليها لمواعيد المحددة مما اضطرنا لكسب المزيد من الوقت للبحث عنها والاستفادة منها.

3. رغم جهودنا المبذولة في الحفاظ على توازن فصول البحث إلا أننا لم نوفق في تحقيق ذلك مع الفصل الثاني وذلك نظرا لطبيعة الموضوع والمادة العلمية التي وفقنا الله في توفيرها واللذان كانا عاملان أساسيان في تحديد فصول بحثنا كمّاً ونوعاً.

الفصل الأول:

I- نبذة عن حياة الامير عبد القادر الجزائري

أ - نسب الأمير عبد القادر

ب - ميلاد الامير عبد القادر ونشأته.

ج - رحلة الأمير عبد القادر مع أبيه إلى الحج.

د - مبايعة الأمير عبد القادر قائدا ومجاهدا.

د - 1/ البيعة الأولى الخاصة.

د - 2/ البيعة الثانية (العامة).

هـ - استراتيجية الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة.

هـ - 1/ على الصعيد السياسي.

هـ - 2/ على الصعيد العسكري.

هـ - 3/ بناء مؤسسات الدولة.

لقد كان الامير عبد القادر في صغره دائما منفردا بمميزاته عن اخوته وعن باقي أبناء بلدته ، فقد تربى في بيئة سمحت له باستغلال كل طاقته، فبالإضافة الى انه شريف النسب كان الامير مميزا عند والده، فقد كان يرى فيه خليفة له في الزاوية وخليفة للمسلمين أيضا، فلم يترك شيئا إلا وعلمه إياه وأفرده باهتمام زائد عن باقي إخوته، وأما الامير عبد القادر كان يبهر والده بتعلمه السريع لما يملكه من ملكات الذكاء والتميز ،فلقد شهد له الكل بهذا من شيوخ درس العلم على يدهم، وأصحاب المكانة الرفيعة أثناء رحلته . وبرزت شخصية أخرى للأمير عبد القادر من حسن البلاء في المعارك عندما خاض معركة مع والده، هذا ما جعله يبايع قائدا ومؤسسا لدولة للوقوف بها ضد الاستعمار الفرنسي، هذا ما سنشاهده من خلال عرضنا للمطالب الآتية:

أ - نسب الأمير عبد القادر

هو عبد القادر محي الدين[1]، بن مصطفى[2]، بن مُحَّد بن مختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن احمد المشهور بابن خده بن مُحَّد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن مُحَّد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن مُحَّد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحصن بن حسن المثنى بن حسن البسط بن علي بن أبي طالب وأمه فـاطمة الزهراء بنت سيدنا مُحَّد ﷺ[3].

فقد كانت أسرة الأمير عبد القادر، تعتز بامتداد حلقاتها إلى هذا المعدن الشريف بانتسابها إلى الرسول ﷺ، ففي القرن الثامن للميلاد هاجر إدريس بن عبد الله الكامل بن

---

[1]- محي الدين: ولد بالقيطنة عام 1776م ، ودرس على يد أبيه مصطفى وورث عنه مشيخة الزاوية القادرية فكثر عليه طلاب العلم ،لأخذه العلم الغزير على والده توفي 1833م

ينظر: يحي بوعزيز أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ص 245.

[2]- مصطفى: جد الأمير عبد القادر ومؤسس الزاوية القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني بعد أن زار مدينة بغداد عام 1791م واشتهرت أسرته بالورع والتقوى وتوفي بعين غزالة قرب مدينة دونة في إقليم برقة شرق ليبيا عند عودته من الحج، عام 1797م ، ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ص 247.

[3]- برونو إيتين: تر: ميشيل خوري، عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر، ط1، لبنان، 1997م ، ص 27.

الحسن المثنى بن الحسن السبط إلى المغرب، هاربا من بطش العباسيين، وأنشأ دولة الأدارسة[1] وعاصمتها فاس، ودام حكمها حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر بعد أن سكنت بعض سلالات العائلة الكبيرة الأندلس انتقل أحد أجداده عبد القوي الأول في نهاية القرن الخامس عشر بعد سقوطها عام 1492م واستقر بقلعة حماد قرب سطيف[2].

وبهذا فإن الأمير عبد القادر كان شريف منتميا إلى بني هاشم نسب الرسول صلى الله عليه وسلم،[3] ولقد اتسم أجداد الأمير عبد القادر بالجهاد والعلوم وإقامة الدول والزوايا وواصل الأمير عبد القادر نفس المنهج الذي سار عليه أجداده.

يظهر جليا عند الأمير عبد القادر أثر الوراثة والفطرة الجيدة والسليمة[4]، والتي تعود لتوفر بعض العوامل عنده دون غيره من أقرانه أو سباب عصره، كنسبه الشريف وسيرة أجداده العطرة مثلا حيث يشرح الأمير معنى الآية الكريمة ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[5] بتوضيحه لموقف من أهل البيت والنعم التي خصهم بها الله بإذهابه الرجس عنهم، وبالإضافة إلى انتمائه إلى عائلة المرابطين كما نعرف جيدا مكانة أسرته بين بني وطنه[6]، واجتمعت في والديه أحسن الصفات، فكان والده من أكبر علماء زمنه فضلا عن كونه زعيم الطريقة القادرية وبذلك جمعت فيه خصال البطولة والتدين والسطوة الروحية[7].

---

[1]- الأدارسة: هي دولة أقيمت في المغرب على يد إدريس الأكبر عام: 1066م والذي كان يتميز بالعدل والحكمة وكانت عاصمتها فاس بالمغرب، ينظر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، تحقيق: محمود حقي، ص 33.

[2]- بديعة الحسني، الجزائري ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين سيرته المجيدة، ط2، مطبعة السلام، دمشق، 1992م، ص 16.

[3]- بسام العسلي: الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، ط1، بيروت، 1980م، ص17.

[4]- رابح التركي: الأمير عبد القادر وأثر بيئته الثقافية التي نشأ فيها في تكوين شخصيته، مجلة الثقافة، العدد 88، جويلية 1985م ، ص 118.

[5]- سورة الأحزاب: الآية 23.

[6]- الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج2: صورة من النسخة الأصلية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1996م ، ص 104.

[7]- أبو قاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج3، الش و، د، ت، الجزائر، 1978م، ص 128.

ومن جهة أمه فهي السيدة الزهراء بنت عبد القادر من بيت علم وتقوى هي الأخرى[1] فورث الأمير الناحية البيولوجية والعقلية صفات مميزة كقوة الجسم والبدن وكذلك الأخلاق النبيلة وصفات النفس والقدرة على كسب حب الآخرين بنقاء وفطانة ذهنه، فجمع بذلك بين رتبتي السيف والقلم: مما زاد والده إعجابا وفخرا به فكان لا يقدم على عمل دون استشارته في ذلك، ولا يحضر مناسبة اجتماعية أو سياسية إلا برفقته[2].

ب . ميلاد الامير عبد القادر ونشأته.

عبد القادر هو ابن محي الدين وابن السيدة الزهراء[3]، ولد يوم الجمعة 23 رجب 1222هـ الموافق ل 26 سبتمبر 1807م[4]، وجاء في مذكرته تاريخ ميلاده في هذه السنة حيث يقول كاتبها: "ولد هذا السيد في اثنين و عشرين ومائتين من قرننا هذا"[5]، في قرية القيطنة التي بناها جده وقد حملت هذه التسمية إشارة إلا أنها ليست قرية مرتحلة بل قاطنة مستقرة وقد بناها على سفح جبل استانبول على الجانب الأيسر لوادي الحمام في منطقة غريس التي تقع في إقليم وهران في الجزائر[6] وكانت القيطنة قد تحولت إلى زاوية يقصدها طلاب العلم في عهد جده وعلا شأنها في عهد أبيه الذي جاء المريدون كما يقول التهامي: "من جهة مراكش وسوس وشنقيط ومن نواحي برقة، بل كان له تلاميذ بالإسكندرية"، ويضاف إليهم

---

[1]- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب، ط1، بيروت، ص 77.

[2]- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو قاسم سعد الله، ش، و، و، ط، ح، الجزائر، ص 42.

[3]- السيدة الزهراء: نبيلة النصب من عائلة أولاد سيدي عمر بن دوحة سبق لها الزواج قبل محي الدين وأنجبت من محي الدين عبد القادر وخديجة،... ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، المرجع السابق، ص 143.

[4]- مُحَّد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتحقيق: ممدوح حقي ، ج1، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت، 1984م ، ص 932.

[5]- الأمير عبد القادر، مذكرة الأمير عبد القادر، تح: مُحَّد الصغير البناني، دار الأمة، ط2، الجزائر، 1998، ص 48.

[6]-شارل هندي تشرشل، المصدر السابق، ص 40.

الطلاب القادمين من أرجاء المغرب وموريتانيا وليبيا ومصر طلاب القرآن الكريم والعلم بأكثر أنواعه[1].

هكذا نشأ الأمير عبد القادر وتربى في محيط علمي ديني وثقافي وكان موضع اهتمام وعناية كبيرة من طرف والده الذي مال إليه ميلا خاصا وحاول أن ينشأ نشأة تؤهله لتحمل مسؤولية قيادة الأسرة بعد وفاته، وبهذا التحق عبد القادر بمدرسة والده وهو في الرابعة من عمره، فكانت ملكاته العقلية على ينبوع غير عادي فقد كان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره[2].

ولما أحس الشيخ هذا الاستفراد الكبير وما تحلى به عبد القادر من المهارات، الذكاء والفطنة بذل والده خالص جهده في تثقيف ولده وأتاح الفرصة أمامه ليرتع من مناهل الثقافة والأدب وعند بلوغه الثانية عشر من عمره أصبح في عداد حفظة القرآن الكريم،[3] متمكنا من الحديث وأصول الشريعة الإسلامية وفي الرابع عشر من عمره أصبح في مقدوره أن يلقي دروسا في الجامع التابع لأسرته في مختلف الموارد الفقهية.[4]

وراح والده يشجعه للفروسية وركوب الخيل لأن أباه أيقن ان العقل السليم في الجسم السليم لذلك بدأ الأمير في مقارعة أنداده والمشاركة في المسابقات التي أقيمت آنذاك[5]، وبعدها اكتمل للأمير عبد القادر المؤهلات العقلية والجسمية في مسقط رأسه، قرر والده إرساله إلى وهران ليأخذ من علمائها ويتوسع في معارفه فانظم إلى طلاب مدرسة المدينة التي كانت

---

[1]- مصطفى بن التهامي، سيرة الإمام عبد القادر وجهاده، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م ، ص 49.

[2]- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، ق1، 1992م ، ص 173.

[3]- شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 40.

[4]- حوار مع الأمير عبد القادر، ص 12.

[5]- أحمد جرير، نبذة عن حياة الأمير عبد القادر، مجلة ألوان، العدد 75، 1983م، وزارة الثقافة والسياحة، ص 28.

بإشراف العالم الفقيه أحمد بن خوجة، صاحب رائعة در الأعيان في أخبار وهران، فاكتسب منه الأمير المعارف اللغوية والفقهية والنحو والبيان والفلسفة والمنطق، وتعلم الحساب والجغرافيا على يد الشيخ أحمد بن الطاهر البطوي قاضي أرزيو[1].

وبعد أن انتهى عبد القادر من رحلة العلمية في وهران التي دامت سنتين عاد بعدها إلى بلدته القيطنة التي لم يمكث بها طويلا حتى بادر والده التي قد رأى علامات الرجولة قد اكتملت في ولده إلى تزويجه، وانتقى له فتاة قد جمعت محاسن الخلقة والخلق والنسب الشريف وهي ابنة عمد سيدي علي بوطالب، وهي لالة خيرة (غنية)، التي كانت مثله تتمتع بجمال وأخلاق عالية وقد تم حفل زواجهما على الطريقة الإسلامية وكان في الخامسة عشر من عمره.[2]

وإذا تحدثنا عن موهبة الأمير عبد القادر المحببة فنجد أنه كان يفضل رياضة الفروسية والصيد التي كان يمارسها برغبة وحب شديدين[3]، وقد رزق عبد القادر إلى جانب ذلك موهبة بيانية ناصعة، ساعدت في الإفصاح عما يحمل من آراء ومشاعر، وفي التأثير في الجماعات المحيطة به والتي سوف تتنوع وتتكاثر يوما بعد يوم، وهي الموهبة التي ساعدته على أن يكون خطيبا مؤثرا وكاتبا موجها، وعالما معبرا عن كثير من دقائق العلم وأسراره التي ما تزال تحتفظ بها مؤلفاته، وإلى جانب ذلك نجد أيضا الكثير من الصور الجميلة الصادقة النابعة من نفس عايشت تجارب عميقة في حب الطبيعة والخيل وعشق الجهاد، والتمتع بالحب والجمال، والأنس بصحبة الأصدقاء والإخوان والشوق إلى الأهل عندما يغيبون، وتحميس الرجال عندما يهينون أو يفترون، والإحساس بمرارة البعد عن الوطن وكل تلك المشاعر الصادقة والجميلة لا يستهان بها[4].

---

[1]- شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 41.

[2]- نفسه، ص 42.

[3]- يحي بوعزير، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط2، دار كتاب الجزائر، مطابع دار الفكر، دمشق، 1964م، ص، 150.

[4]- أحمد درويش، في صحبة الاميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، موسوعة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م، ص ص 146- 147.

ج . رحلة الأمير عبد القادر مع أبيه إلى الحج.

ولقول رسول الله ﷺ، "لا خير في رجل لا يجول ولا خير في امرأة تجول" فإن الرحلات التي قام بها الأمير عبد القادر قد ساهمت وبشكل كبير في تكوين شخصيته وإنمائها وزيادة معارفها وإفادتها من تجارب الآخرين، وتزداد أهمية الرحلة عندما تبدو وكأنها رحلة لتعميق المعرفة بالذات من خلال رؤية ما تمر به الذوات المشابهة، التي تبدو أو كأنها مماثلة ومغايرة في آن واحد: وتلك كانت حالة العالم الإسلامي في الربع الأول من القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي قام فيها عبد القادر برحلة استغرقت عامين مع أبيه مر خلالها بالشمال الإفريقي ومصر والحجاز وسوريا والعراق، وكلها تابعة يومئذ لخلافة العثمانية المترهلة التي بدأت تشغل بكثير من الحروب الخارجية والفتن الداخلية، وتشتغل عن الأحداث في الأقاليم المختلفة، ويتنوع الولاة في طبائعهم وأجناسهم وأهدافهم، فيحكم كل ولايته بما يتحقق لديه من أهداف ومطامح، تتفاوت درجة سموها ودنوها من مكان إلى مكان[1].

قامت الرحلة في ربيع الأول سنة 1241هـ (1825م)، متجهة برا إلى تونس مرورا بقسنطينة، ثم تبعتها رحلة بحرية إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة حيث حضر بعض مجالس العلم في الجامع الأزهر، والتقيا بمشاهير العلماء والمتصوفة، ثم استقبلا من والي مصر مُحَمَّد علي استقبالا حافلا، وهنا رأى عبد القادر الأمير مُحَمَّد علي باشا لأول مرة ونظر إليه بدقة وتأمل ولم يدر أنه سيتبع يوما خطاه وينسج على منواله وقد أكرمهما الأمير مُحَمَّد علي باشا، وأحلهما محلا رفيعا[2].

اتجهت الرحلة بعد ذلك إلى مكة لأداء مناسك الحج ثم إلى المدينة لزيارة قبر الرسول ﷺ، ثم إلى دمشق مع ركب الحجيج الشاميين، وفي شهور الإقامة في دمشق كان التعرف إلى العلماء وحضور مجالس المشاهير في المسجد الأموي والالتقاء بكبار العلماء والمتصوفة وقد قرأ

[1]- حوار مع الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 12.

[2]- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 39.

خلال ذلك صحيح البخاري على الامام المحدث عبد الرحمان الكزبري[1]، والتقى عبد القادر بالشيخ محمود القادري الكيلاني، خليفة عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية عند وصولهم إلى بغداد وفي عودتهما عاودا المرور بالقاهرة مرة ثانية وأقاما فيها فترة غير قصيرة، عاودا الاتصال بالعلم، وجمع أمهات الكتب، ورؤيته تجربة مُحَمَّد علي في محاولة تأسيس الدولة الحديثة في مصر، وهي التجربة التي سوف يتأثر بها عبد القادر لاحقا، وإن اختلفت طبيعة التجربة في البلدين باختلاف التحديات، والأهداف المرجوة، والعدو المناهض[2].

ثم كانت العودة إلى القيطنة في عام 1243هـ/ 1827م، ولا شك أن الأمير عبد القادر تأثر بتجربة مُحَمَّد علي في مصر، فأدرك معالم هذه الحضارة الحديثة وارتسمت حظوظها العريضة في ذهنه وهذا ما سيفعله عندما سيتولى إمارة البلاد في المرحلة الثانية من حياته إذ سيحاول أن يبني دولته على هذه الأسس نفسها[3].

لكن من الحق أن يقال أن عبد القادر كان معنيا إلى جانب ذلك ببناء أفراد الأمة، فلم يكن يحس مثل مُحَمَّد علي أنه وال عثماني، يستغل موقعه والأمة التي ولي عليها في تحقيق طموحاته، وقد تستفيد الأمة من خلال ذلك، أو تستفيد بعض شرائحها وتستغل الشرائح الأخرى، ولكن الأمير عبد القادر كان يحس أنه أحد أبناء هذه الأمة، وأنه معني ببناء أفرادها إلى جانب هيكل نظامها كان" مُحَمَّد علي" يمثل الاستبداد المستطير، وكان مفهومه يقوم على أن وجود الدولة يعني وجود الأمة أما عبد القادر فقد عمل في آن واحد على تكوين الأمة والدولة معا[4].

---

[1]- عبد الرحمان الكزبري: هو عبد الرحمان بن الشيخ الإمام مُحَمَّد الكزبري يقال أنه تحصل على فضائل علم لا يحصى وشرف لا يمكن أن يستقصى لاسيما علم إسناد علم الحديث، مخطوطة ثبت الشيخ عبد الرحمان الكزبري، مكتبة جامعة الرياض، ص 2.

[2]- فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المرجع السابق، ص ص 43- 44.

[3]- جلال يحي، المغرب الكبير، ج3، دار النهضة العربية، 1971م، بيروت، ص 141.

[4]- عبد الوهاب عبد الرحمن، تاريخ العرب الحديث (1781م:1920م) دراسة في التنافس الأوروبي الاستعماري على البلاد العربية، دار القلم، دبي، د ت، ص 271.

وعلى أية حال فقد عاد عبد القادر من هذه الرحلة مزودا بكثير من التجارب والأفكار في مجالات المعرفة والإصلاح، وإدراك أهمية توافر المكتبات حول المتعلم والباحث وأهمية امتداد مجال اهتمامات المتشوق إلى المعرفة إلى خارج دائرة العلوم اللغوية والدينية البحتة التي نهل منها قدرا كافيا لبدء سياحة معرفية متكاملة، ومن أجل هذا فقد كان سعيدا بالثروة التي حصل عليها خلال هذه الرحلة من مخطوطات القيمة من بلاد المشرق، وقد شكل منها نواة مكتبة هامة[1]، وهب المكتبة التي سوف يتوسع فيها عندما يتولى الإمارة ليشكل منها نواة مدينة علمية في "تاقدمت"[2]، فقرر الأمير عبد القادر أن يعتزل بحوارها لتحصيل العلم، فلزم الخلوة حيث عكف على مطالعة كتب العلم والفلسفة وركز في دراسة التاريخ والجغرافيا، والهندسة والنباتات الطبيعية[3].

ولم يخطئ أبدا اللذي قال: " بالعلم ترفع الأمم " فكيف لمن يريد بناء دولة تشهد لها الأمم ؟ فالبناء هنا أنواع ، بناء الفكر والثقافة، ويتم هذا بالعلم واكتساب الحكمة ليتمكن من العدل والتسيير، بناء السيف، وهذا يتم بالجهاد والدعوة إلى الحق والدفاع عنه.

د . مبايعة الأمير عبد القادر قائدا ومجاهدا:

بدأت المقاومة الجزائرية بقيادة محي الدين وابنه عبد القادر بعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر 1830م واستيلائه على العديد من المناطق واجهته مقاومات شعبية عنيفة ونتيجة لتلك الأحداث اجتمعت (مقاومات) مجموعة من القبائل بالحزب الجزائري لمبايعة الشيخ محي الدين رئيس الزاوية لقيادة المقاومة ومن 07 إلى 17 أبريل كانت معركة خنق النطاح الأولى بقيادة الشيخ محي الدين، وقد شارك معه الأمير عبد القادر كمقاتل عادي، وكان

[1]- شوقي عطى الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 364.

[2]- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص 229.

[3]- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 50.

يتصدر الصفوف ويحرض المجاهدين على القتال ويدافع بكحل حماس[1]، ثم عاد الشيخ محي الدين منتصرا في أول معركة يخوضها ضد العدو.

ثم جاءت معركة خنق النطاح الثانية أواسط جوان حتى أواخر أوت 1832 والتي كان عبد القادر الشاب هو قائدها بدل والده، وأبدى خلالها شجاعة، وحنكة في القتال وقد أظهر فيها المجاهدون شجاعة، وتفوقا، وكان من ضحاياها: ابن أخ الأمير عبد القادر أي ابن مُحَمَّد السعيد[2].

كما نلمس مشاركته في معركة رأس العين وسانت أوندري 03، 04، 05 ماي 1832م وأظهر فيها المجاهدون غاية في الجهد والقوة ومن خلال هذه المعارك فهم عبد القادر الشاب أنه لا يمكن مقاومة دولة فرنسا إلا بدولة لها سلطاتها وكيانها، كما عرف بوجوب تكوين جيش وطني دائم ومنظم ومدرب على أحسن الطرق له ميزانيته الخاصة وهذا فعلا ما سيعمل على تحقيقه بعدما يحظى بالبيعة الخاصة 1832م والعامة 1833م[3].

د . 1/ البيعة الأولى الخاصة:

طلب سكان غريس من الشيخ محي الدين، أن يقودهم نحو الدفاع المشترك واختاروه للإمامة لصلاحه في دينه وخوفه من ربه[4]، لكنه رفض البيعة لأنه عرف بصعوبة مواصلة الجهاد خصوصا وأنه شيخ طاعن في السن، كما كان يؤمن بقيادة الشباب ولأن كل حركة محسوبة

---

[1]- أدب حرب، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر، 1808م- 1847م، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 81.

[2]- بديعة الحسني، وما بدلوا تبديلا، تفاصيل دقيقة عن حياة الأمير عبد القادر وجهاده وهجرته إلى الشام، دار الفكر العربي، بيروت، 2002م، ص 20.

[3]- دحمان عفاف، دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة، المنطقة الغربية (1830م- 1847م) أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الجزائر العام والمعاصر، إشراف أ. حرشوش، ص 10.

[4]- عبد المنعم القاسمي، الأمير عبد القادر من خلال مخطوط نادر لأبو حامد العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأوائل فيما ينتظم من أخبار الدول، الملتقى الدولي الخاص بالأمير عبد القادر، الجزائر، ماي 2005م، ص 09.

عليه في المعارك، فعرض عليهم أن يبايعوا ابنه عبد القادر لما أظهره من شجاعة في معاركه الأولى[1].

وبالتأكيد جرت بيعته بكتائب صدرت من علماء غريس وفضلاء تلك الجهات وبحضور القاضي والمفتي في 27 نوفمبر 1832م تحت شجرة "الدردرة"، الموجودة بوادي فروحة، بايع محي الدين ابنه على السمع والطاعة ولقبه بناصر الدين ثم تلاه عمه سي علي بوطالب وإخوته، وأقاربه، ثم العلماء والأعلام بناحية وهران وتلمسان ومعسكر، مع ثقل هذه الأمانة قبلها عبد القادر لكونه لا يستطيع التخلف عن نداء الواجب مع كبر حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، قال تعالى ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[2].

لقد كان نص البيعة متضمنا الخطوط الأولى للبرنامج العريض المطلوب من الأمير أن يعمل على تحقيقه، في مقدمتها توحيد من القبائل لنصرة دين الله، وتأتي بالدرجة الثانية مسألة تقويم النظام والعمل على استمرار وانتساب الأمن وصيانة النفوس والأموال من أجل البغي والفساد الذين تتكاثر عددهم لعدم وجود السلطة بعد سقوط الجزائر[3].

في البيعة الأولى لقي التزكية من والده وعائلته وأعيان القبيلة ومشايخها، أما البيعة الثانية فتختلف عن البيعة الأولى وسبب الاختلاف سنعلمه من خلال دراستنا للبيعة العامة.

د . 2/ البيعة الثانية (العامة):

تم انعقاد اجتماع وجرى فيه عقد البيعة الثانية بمحل العموم من قصر الإمارة بمعسكر في الرابع من فيفري عام 1833م، بحضور أعيان قبائل المنطقة الغربية انطلاقا من معسكر وقلعة

[1]- مُحَمَّد السنوسي، "الرحلة الحجازية"، تحقيق: علي الشنوقي، الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر، 1978م، ص 181.

[2]- سورة الأحزاب، الآية 72.

[3]- عشراتي سليمان، "الأمير عبد القادر السياسي"، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط3،2009م، ص 172.

هوارة وأحواز بني شقران وسجدارة وقبائل غريس وتمت مراسيم البيعة على كتاب الله وسنة الرسول ﷺ[1].

خطب الأمير عبد القادر قائلا: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... إنني لست أشجعكم ولا أفضلكم خلقا وحكمة، ولم يخطر لي هذا المنصب يوما ولكنني أجبرت عليه كما تعلمون، فهو مسؤولية أمام الله وأمامكم، أرجو منه تعالى التوفيق والعون لتطهير البلاد من الغزاة ورفع راية الإسلام عالية في سماء بلادنا، فالإسلام هو الذي وحد القبائل بعد شتات وجعلها قوة لا تقهر، تدفعنا ميادين المجد والشرف وجعلنا إخوة يحب أحدنا لأخيه ما يحبه لنفسه، ولا فرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى وأمرنا بالعدل والمساواة وإذا عدنا إلى التاريخ نجد كل من دخل هذه البلاد غازيا من رومان وفاندال وإسبان هزمتهم قوة بأس وشجاعة الأجداد، وكان هدف غزوهم لبلادنا إخضاع شعوبنا وإذلالها ونهب خيرات بلادنا لزيادة رفاهية شعوبهم والذين حالف النصر أعلامهم من الفاتحين حملوا إلى هذه البلاد حضارة إلهية، وشيدوا صروحا من القيم باقية إلى الأبد لا ينضب معينها ودخلوا هذه البلاد لتكون دعوة الإسلام حرة فيها، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[2]، ومدينة راقية لا تزال آثارها تشهد عليها في مدننا في فاس، وقرطبة وغرناطة وإشبيلية، وفي وهران، وقسنطينة ...إخوتي في الإسلام، أيها السادة زعماء القبائل والعلماء أيها المجاهدون من أبناء هذا الوطن العظيم سنكون أقوياء سندافع عن الراية والرسالة التي حملها لنا طارق بن زياد وموسى بن النصير". فلاقت هذه الخطبة حماسا منقطع النظير من جموع الحاضرين وضج المسجد بأصوات الرجال "الله اكبر"، ثم نهض العالم الفقيه مُحَمَّد بن حوا وكان يرتدي الثوب الجزائري وفوقه البرنس الأبيض وعلى رأسه العمامة البيضاء، وقرأ نص المبايعة: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله أجمعين، بعد مبايعة الإمام الجليل الشريف محي الدين وتنازله عنها لولده عبد القادر

[1]- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي، المرجع السابق، ص

[2]- سورة الأنبياء، الآية 107.

بن محي الدين أحيا الله بهما الدين وأعانهما على القيام بإعلاء كلمته وأهلك بدولتهما أهل البغي والفساد والغزاة المعتدين نحن جميعا علماء غريس وإشرافها وما جاورها وزعماء قبائل العباس الخالدي والإبراهيمي والحساني والعوفي والجعفري والبرجي والشقراني والزلامطة ومغراوة وبني السيد وحق الحلوية والمشارف وكافة أهل وادي الحمام وزعماء الدوائر والزمالة وبني قويدم وعكرمة وفلقية والمفاعلية والغراية والحساسة وأولاد الشرف وصدامة وكل من حضر هذه البيعة، نبايع أبا المكارم ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين، على الجهاد والحكم بكتاب الله وسنة رسوله وعلى الطاعة ونصره الله في السراء والضراء ومن ينكث فإنما ينكث على نفسه وخسر يومه وأمسه والله الموفق."، وخرجت الجموع متفائلة يهنئ بعضها بعضا[1].

استنتاجات البيعة:

من خلال البيعتين يتبين أن:

- نص البيعة ديني صرف مستمد من "الكتاب والسنة".
- كانت المبايعة بطلب من "أهل الحل والعقد".
- جاءت البيعة بعد أن انقرضت الحكومة الجزائرية.
- كان إيمان علماء الجزائر الذين بايعوا الأمير عبد القادر كبيرا في أن "الله يحمي بالسلطان، ما لا يحمي بالقرآن".
- إن الهدف من هذه البيعة إقامة الدولة السنية والإمارة البهية.
- كانت مبايعة الأمير عبد القادر "من غير طلب منه للإمارة"[2].

هنا وقد بويع الأمير من طرف أعيان القبيلة والمشايخ و توافدت عليه القبائل الأخرى من كل حدب وصوب لم يبقى للأمير هنا سوى بدايته بإنشاء الدولة المنشودة.

[1]- عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص 28.

[2]- عميراوي احميدة، موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص 18.

هـ. استراتيجية الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة:

هـ. 1/ على الصعيد السياسي:

1- توحيد كافة الجزائريين تحت راية واحدة، ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة كما جرى مع أتباع الطريقة التجانية، ومع أحمد باي، وكثير من القبائل المارقة المأفونة في الشمال والجنوب.

2- إنشاء دولة عصرية قدر الإمكان لسد الفراغ الناشئ عن استسلام حكومة الداي.

3- السعي إلى التحالف مع الأشقاء المسلمين المغاربة والتونسيين والعثمانيين، لكنه لم يحصل من حكامهم على طائل، إلا من سلطان المغرب قبل أن ينقلب عليه.

4- البحث عن حلفاء دوليين محتملين، وتحديدا بريطانيا والولايات المتحدة[1].

هـ. 2/ على الصعيد العسكري:

1- تطويق الغزاة في جيوبهم الساحلية الأولية الضيقة وتحريم التعامل معهم.

2- مهاجمة المدن والمعسكرات التي يحتلونها.

3- إنشاء جيش بلغ تعداده عام 1834م حسب ديميشال: 12000 فارس، زاد في أوج قوته عام 1838م، حسب الجاسوس ليون روش (léom roches)، إلى 58900 رجل منهم 5960 جنديا نظاميا يمكن للأمير أن يجندهم في مختلف المقاطعات.

4- إقامة صناعة حربية، وعدد من الحصون والقلاع الدفاعية.

5- بعد اختلال ميزان القوى لصالح العدو عمد الأمير إلى أسلوب حرب العصابات، استدرج فيها الغزاة إلى مواضع معينة والإغارة عليهم فجأة للنيل منهم ودحرهم.

6- إقامة عاصمة متنقلة عرفت بالزمالة، ضمت خيرة الممتلكات المادية والخيرات البشرية التابعة للأمير، وذلك بعدما فرض العدو سيطرته على الأرض بفضل تفوقه المادي والعددي، وكثرة الخونة المتمردين المنظمين تحت رايته وكانوا أشد نكاية من الغزاة[2].

---

[1]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830م إلى 1989م، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص 73.

[2]- نفسه، ص 74.

هـ - 3/ بناء مؤسسات الدولة:

أول ما كان يؤرق الأمير هو الفجوة الكبيرة الموجودة في المجتمع الجزائري في النسيج الاجتماعي المنفصل بسبب الوجود العثماني الذي لم يجد من الضروري توحيد القبائل وانفرادهم بالحكم فأول ما قام به هو فتح الذهنيات على مشروع إعادة هيكلة البنية الاجتماعية القاعدية والانتقال من حالة القبلية الكلي إلى حال الأمة الشمولي للشعور بالوطنية والانتماء.

يعتبر ظهور الأمير عبد القادر كنقلة في ممارسة السلطة في تاريخ الجزائر، أساسها رغبة الشعب وقوامها اعتماد الأمير عبد القادر على تأييدهم والتفافهم حوله هذا ما يؤسس لقيام نظام حكم شرعي، ويكون قاعدة لبناء الدولة الوطنية لا تقوم على الإكراه ولكن تستند إلى مبادئ العدل والتعاون بين الجميع[1].

عمد الأمير إلى توسيع مجال سلطة نحو تلمسان والمدينة وملیانة (1832-1834) واتخذ بين معسكر عاصمة لهـ في بداية الجهاد، وبدأ بعمل على جمع الأموال كالزكاة والأعشار للإنقاذ على حركة الجهاد، كما شكل مجلسا للشورى يتكون من 11 عضوا، سمي بمجلس الدولة الشورى، وقسم الجيش إلى خيالة ومشاة ورجال مدفعية وسن هذا الجيش نظاما يتعلق بمأكلهم، ورواتبهم وشروط الترقية وغير ذلك[2]، كما سك العملة المحمدية.

اتسم حكمه بالسمة والديمقراطية والقيادة الرشيدة فأنشأ تنظيما محكما يقوم على نظام المقاطعات، كما أنشأ مخازن كبيرة في تلمسان، ملیانة والمدية، وتاقدمت وعين وكلائه في وهران ومستغانم، وحصل على سلطة واسعة في مختلف المناطق التي كانت تحت سيطرته[3].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، الأمانة العامة لماجد الحكواتي الجزائر، 2000م، ص ص 204-205.

[2]-قدور بن رويلة، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تحقيق: مُحَمَّد بن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1986م، ص ص 18-20.

[3]- يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1996م، ص ص 142-143.

كما أحدث نظام تجنيد عام لتشكيل الدولة الجزائرية هذا الجيش يكون مستقرا من كل أبناء الشعب ولتحقق هذه الغاية أحدث نظام مبدأ التطوع بالنسبة للأفراد القادرين على حمل السلاح من سنة 15 إلى 25 سنة مقابل مرتبات قارة وامتيازات محددة[1].

سلطات الدولة الجزائرية:

تحتوي أي دولة على ثلاث سلطات وللجزائر أيضا كمثيلاتها تميزت بثلاث سلطات، تشريعية، تنفيذية وقضائية.

السلطة التنفيذية: تميزت بقيادة الأمير عبد القادر، فجميع القرارات الإدارية الهامة كانت تصدر من الأمير ثم تعرض على مجلس الشورى للتداول ومنها توجه للتنفيذ.

السلطة القضائية: فقد كان على رأس كل دائرة قضايا عالما يفضل في القضايا الشرعية على مذهب الإمام مالك، وربط إدارة هؤلاء القضاة ورئيس مجسه الخاص الذي سماه قاضي القضاة، وبالتالي كان الأمير عبد القادر يتمتع بصلاحيات واسعة.

السلطة التشريعية: لقد كان على أساس التنظيم الدستوري، المبتكر لدولة الأمير عبد القادر يستند إلى الطابع الشوري بتوسيع رقعة الشورى حتى من الخارج لدى بعض علماء المغرب الأقصى كالتسولي مثلا استفتاه الأمير في العديد من القضايا ايضا بعض علماء الأزهر كما حاول تجسيد مبدأ ازدواجية السلطة التشريعية بإرساء مجالس استشارية على مستوى المقاطعات، وهذا ما دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن الدولة الجزائرية كانت دولة فدرالية[2]

وفي نهاية هذا الفصل لا يسعنا القول إلا أن الأمير عبد القادر قد وفق إلى حد بعيد في جمع الحلفاء وبعدها انشاء الجيش وتنظيمه، وبناء دولة تحت راية واحدة تجمع بينها علاقات عديدة، أي ان الأمير قد وفق في بناء الدولة الجزائرية وتوحيد راية الجهاد.

---

[1]- أوصديق فوزي، الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، دراسة مقارنة، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2000م، ص 186.

[2]- إسماعيل زروخي، مساهمة الأمير عبد القادر في النهضة العربية الحديثة، الملتقى 26-27 نوفمبر، الجزائر، 1998م، ص 15.

الفصل الثاني:

II. حياة الامير عبد القادر في المنفى من 1847م. 1855م

أ ـ خطة الجنرال بيجوbugeaud للتغلب على الأمير عبد القادر.

ب ـ المعارك الأخيرة للأمير عبد القادر واحتضار جيش الأمير (المقاومة).

ب ـ 1/ معارك الأمير عبد القادر الاخيرة مع الفرنسيين.

ب ـ 2/ المعارك الأخيرة للأمير ضد المغاربة.

ج - معاهدة الاستئمان 22 ديسمبر 1847م.

ج - 1/ التقرير بالإجماع لوقف القتال.

ج - 2/ مصادقة الدوق دومال على التعهد المقدم من لاموريسير.

د - اعتقال فرنسا للأمير عبد القادر ونقضها الغادر للعهد.

هـ - الوضع العام في فرنسا إبان أسر الأمير عبد القادر.

و - 1/ الحياة اليومية للأمير عبد القادر بطولون.

و - 2/ مواصلة معاناة الأمير ورفاقه في المعتقل.

و - 3/ استمرار معاناة الأمير عبد القادر في قصر امبواز.

ز - لقاء الأمير عبد القادر بنابليون الثالث وإطلاق سراحه.

ن - انتقال الأمير عبد القادر إلى تركيا (1853-1855).

ن 1/ الأمير عبد القادر في ضيافة السلطان.

ن 2/ استقرار الأمير عبد القادر في بروسة.

بعد المقاومات العنيفة التي شنها الأمير عبد القادر في ربوع مختلفة من الوطن، أحست فرنسا بقوتها العظيمة بالخطر على مصالحها الاستدمارية في الجزائر فجندت كل مجند من أجل القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر وسيظهر هذا جليا من خلال استراتيجيات فرنسا في معاركها الأخيرة معه، ورخص لهم هذا حتى نقض المعاهدات والمواثيق كمعاهدة الأمان وسجن الأمير في فرنسا وليس هذا غريبا من جلاد أخل بأصول أمنية أخيرة قبل النهاية.

أ ـ خطة الجنرال بيجو bugeaud للتغلب على الأمير عبد القادر:

عمد سولت بعد تعيينه ورئيسا للحكومة الثالثة في 29 أكتوبر 1840م، إلى عزل الجنرال فالي (Charles Valee)[1]، في 30 ديسمبر 1840م، وتعيين الجنرال بيجو(bugeaud[2]) بدله فعل بالجزائر في 29 ديسمبر 1840 على رأس قوة كبيرة، بمرافقة نجلا الملك تعبيرا على تصميم الحكومة الفرنسية على بسط سيطرتها الكاملة على الجزائر[3]، وبدأ ميزان القوة يتحول تدريجيا لصالح العدو (فرنسا) بتطبيق الأسس التالية قصد إضعاف الأمير:

أ- شن هجمات سريعة على القبائل الموالية للأمير للتنكيل بها وسلب مواشيها، وهي عماد حياتها.

ب-إغلاق الحدود في وجه تلك القبائل لمنعها من اللجوء إلى المغرب ومن تلقي المساعدات والأسلحة منه.

جـ- استخدام طوابير خفيفة التسليح سريعة الحركة لملاحقة قوات الأمير.

---

[1]- فالي: Sylvoin Charles Valee ماريشال فرنسي من مواليد 1773م من اشترك في سنة 1837م باقتحام قسنطينة وأصبح حاكما عاما للجزائر، ينظر: بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 128.

[2]- بيجو: bugeaud ولد بمدينة ليموج 1784م، وتوفي سنة 1849م، بوباء الكوليرا، انخرط في الجيش الفرنسي 1804م، وشارك في الحروب التي خاضها نابليون الأول 1836م، وعين قائد لمنطقة وهران ومخاض ضد الأمير معارك عدة انتهت بمعاهدة تافنة سنة 1837م التي اعترفت يد فرنسا بدولة الأمير، وشغل منصب والي عام للجزائر، أنظر: شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 164.

[3]- بشير ملاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830م-1889م، ج 1، دار المعرفة، 2006م، ص 90.

د – تخصيص قوات كبيرة لشن حروب شاملة على المناطق التلية الخاضعة لسلطة الأمير لأخذ مدنها وتدمير حصونها ومداشرها ومحاصيلها وإبادة سكانها بما عرف بسياسة الأرض المحروقة[1].

وبتطبيق هذه الأسس على أرض الواقع أدى إلى الاستلاء على تاقدمت ومعسكر وتازة وبوغارة وسعيدة عام 1841م، ثم على تلمسان في الفاتح من فبراير 1842م، ودمروا سبدو في التاسع منه، مما سيعسر تمون الأمير عبد القادر من المغرب، وقد ارتكبوا في غضون ذلك مجازر وفضائح ضد السكان ما يدمي القلب، وتشب لها النواصي، ويندى لها الجبين، وخربوا وأحرقوا عددا كبيرا من القرى والمداشر باعتراف قادتهم المعتزين بجرائمهم من أمثال كافينياك (Cavignac)[2]، وسانت آرنو (Saint Arnaud)[3]، وآخرون يعترف بجرائمهم على الملء[4].

ولم تنجوا الزمالة من هذه الأساليب الشنيعة فقد كانت هي المقصد الأول للفرنسيين للإضعاف من قوة وعزيمة الأمير وجيشه، لأن فيها أطفالهم ونسائهم، وقد استطاع الأمير إحباط هجومين قام بهما لاموريسير (lamorcière)، غير أن دومال(daumale)، نجح في

---

[1]- شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبداية الاستعمار 1827م-1871م، ج 1، تر: جمال فاطمي وآخرون، ش. د. أ للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 318.

[2]- Louis Euzene Cavaignac: ولد في 15 أكتوبر 1802م، بباريس التحق بالمدرسة المتعددة التقنيات، ثم انتقل إلى المدرسة التطبيقية بمتز في 1824م، حصل على رتبة ملازم في سلك الهندسة ثم ملازما سنة 1826م، وفي 1829م، أصبح ضابطا برتبة نقيب، شارك في الحملات العسكرية الجزائرية، منها حملة على معسكر، كما كلفه كلوزيل بتولي أمور تلمسان وارتكب جرائم كثيرة بأهالي المنطقة، ينظر: فاطمة حباش، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844م-1870م، تيارت – سعيدة – جيرفيل – البيض – نماذجا، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف الأستاذ صم منور، 2008م – 2009م، ص 25.

[3]-سانت آرنو:Saint Arnaud ولد بباريس في 20 اغسطس1801م التحق بالجيش الفرنسي وعمره لا يتجاوز 15 سنة عمل وزيرا للحربية حتى حرب القرم حين اصبح القائد العام لجيش الشرق ، كان والده محاميا ثم اصبح نائبا في برلمان باريس، وبعده محافظا للإمبراطورية سنة 1809م، ينظر:http:/data.bnf.fr/ ark تاريخ الاطلاع: 10 أكتوبر 2015م .

[4]- مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 430.

الإغارة على الزمالة، بمساعدة الخائن (عمر العيادي ابن فراج)، وكانت غنائم الفرنسيين كبيرة بقدر ما كان وقع الكارثة مفزعا للعرب وعندما بلغ الأمير الخبر (وهو في غابة سرسو) أظهر تجلد للنكبة، رغم أنه فقد فيها كل ثروته المالية و التي جهد في جمعها، فقال لأولئك الذين كانوا ينتصرون كلمته: الحمد لله، أن كل تلك الأشياء التي كنت أقدرها حق قدرها والتي كانت عزيزة على قلبي والتي شغلت عملي كثيرا، ولم تزد على أن أعاقت حركتي وحولتني من الطريق الصحيح أما في المستقبل فسأكون حرا في محاربة الكفار" وكتب حلفاءه: "قام الفرنسيون بالإغارة على الزمالة، ولكن علينا أن لا نفقد الشجاعة ونكون منذ الآن أخف حملا، وأفضل استعدادا للحرب"[1].

فقد دفع الأمير ثمنا باهضا بفقدانه الزمالة، فقد أخذت الزمالة على حين غرة من أصحابها فيما كان الأمير عبد القادر في مواجهة مع لاموريسير(lamorcière)، فقد أستر الغزاة نحو 3000 من الكب المخطوطة المجلدة وقد اقتسم الجنود ما نهبوه فيها من ذهب وفضة، وتعرض أهل الزمالة المتبقيين للفضائح والسبي من طرف المرتزقة والخونة المارقين"[2].

وبذلك ضاعت معظم الإمكانيات الحربية والموارد المتبقية لدولة الأمير، ثم فقد ساعده الأيمن وحليفه على مليان القائد البطل ابن علاّل ومئات الشهداء الذين سقطوا معه في معركة جرت يوم 11 نوفمبر 1843م، فاشتد الأمر، وفي ديسمبر 1844م، وتنفيذا لمعاهدة طنجة أرسل الملك عبد الرحمان للأمير طلب بالتحاقه بفاس ليقطن بها هو وعائلته، فرفض هذا الاقتراح وتمركز في قبيلة بني سناسن[3].

كل مدة مقاومة الأمير عبد القادر كان هو المسيطر على الوضع في مجمل المقاومات والمعارك، فكان هو السريع والمفاجئ وصاحب الأرض الى حين تطبيق هذه السياسة لبيجو،

---

[1]- برونو ايتين، عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص ص 143-144.

[2]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 91.

[3]- مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 146.

فبها قد ضيق الخناق على الأمير وحاصره إلا أن فر الى الحدود المغربية وهنا كانت آخر معارك الأمير عبدالقادر.

ب ـ المعارك الأخيرة للأمير عبد القادر واحتضار جيش الأمير (المقاومة).

ب ـ 1/ معارك الأمير عبد القادر الاخيرة مع الفرنسيين:

أثناء بقاء الأمير في المغرب راسله الخليفة بن سالم[1]، بعدما ضيق عليه الخناق، واستقر في (باتنة)، وأخبره فيها بأن المخابرات الفرنسية تروج نبأ وفاته في الجزائر، واستنجد به، وأعلمه بتضييق الخناق عليه ووقوف القبائل ضده، ووعدهم الأمير عبد القادر بالعودة في أقرب فرصة لنفي خبر موته في ظروف مواتية، ونظرا للاضطرابات التي حدثت في 30 جانفي 1845م، والهجوم على ثكنة في بلعباس من طرف أولاد إبراهيم، وتحركت قبائل صحراوية أيضا، وكذلك ظهور الحركة المسلحة التي تزعمها بومعزة[2]، عندها قرر الأمير عبد القادر العودة من جديد لمواصلة المقاومة الشعبية فدخل عبر شمال الشط الغربي، عندها أعلم قائد وجدة لاموريسير (lamorcière) بهذا التحرك وهذا يؤكد أن هناك وجود لتعامل فرنسي مغربي.

خرج العقيد مونتانياك Montagnac[3] في 21 سبتمبر 1845م، وكان معه القائد كوست فرومون (Coste Fromone) وكوربي دوكونيور، على رأس فئة مكونة من 24

---

[1]- الخليفة بن سالم: ولد ما بين عامي 1797م .1807م وينحدر منعين سالم في منطقة البويرة، وكان والده يحمل اسم" الطيب"، وهو من ذرية العالم" سيدي سالم بن مخلوف وعائلته هي عائلة صوفية رحمانية.وقد كانتزاوية سيدي سالم محترَمة في هذه المنطقة، ينظرUne grande figure de la résistance dans la région de | "(1837 - 1847) Bouira. *La Dépêche de Kabylie*. مؤرشف من الأصل في 02 أكتوبر .2018 اطلع عليه بتاريخ 16 نوفمبر.2016

[2]- بو معزة: هو مُحَمَّد ابن عبد الله ويلقب ببومعزة ينتسب الى قبيلة خويدم في واد الشلف والظهرة حيث اظهر دعوته سنة 1845م، للجهاد على عناصر قبيلة الفتيلة ، وخظعت له بعض القبائل بجبال الظهرة والونشريس ووادي شلف استسلم لسانت ارنو في شلف ونقل الى باريس سنة 1847م ومنها الى الاستانة حيث التحق الى الجيش العثماني

[3]- مونتانياك: هو قائد جيش الاحتلال ورحى المعركة وأكبر ضحاياها كان في الثانية والأربعين من العمر، وقد وصل إلى القارة الافريقية في سنة .1837 كان نحيف الجسم، قوي النشاط، ولكنه منطويا على نفسه، وكذلك اشتهر ببراعته في ركوب الخيال ورياضة السيف وبمهارته في إطلاق الرصاص وإصابة الهدف بالمسدس .كان مونتانياك طموحا وكان الحب الوحيد الذي عرفه في حياته هو حب الحرب والمعارك التي يخوضها كثيرا في أحلامه .ولكن حبه للعرب كان ذا طابع

جندي و62 من الخيالة، وكان الهدف من هذا الخروج هو منع التقاء الأمير عبد القادر مع بن علي أغا الغسال، وبومعزة، وكان لقائه بالأمير في 22 سبتمبر 1845م، ليلا في ضريح سيدي إبراهيم واستطاع الأمير خلال فجر 23 سبتمبر من نفس السنة من تحقيق انتصار كامل على هذه الحامية بعدما مات العقيد مونتانياك(Montagnac) متأثرا بجروحه وقتل كوست فرومون(Coste Fromone) ، ولم يبق سوى جيرو والنقيب كوربي، مع 80 من الخيالة الذين تحصنوا بقبة سيدي براهيم وبقوة مدة 03 أيام بلا طعام ولا شراب عندها قرروا الخروج في 26 سبتمبر من نفس السنة وحاولوا التوجه نحو جمعة الغزوات، ولكنهم أبيدوا كلهم، ولم يبق منهم سوى 10 أسروا، ومن بينهم رئيس السارية كوربي دوكونيور وخلال هذه المعركة أصيب الأمير برصاصة في شحمة أذنه ورغم هذا استطاع تحقيق نصر كامل مع المجاهدين[1].

توجه الأمير عبد القادر في 27 سبتمبر 1845م من نحو ناحية بني بن عامر عندما أرسل كافيناك (Cavignac)، 50 عسكري و200 رجل عدة وعتاد مؤن لتقوية ثكنات عين تيموشنت، وكان يقود الموكب الملازم ماران (maran)، ومعهم 20 ألف من ذخيرة البارود، وفي 28 سبتمبر من نفس السنة واجه الأمير عبد القادر والبوحمدي الجيش الفرنسي الذين استسلموا دون مقاومة وكان منهم ثلاثة ضباط و 20 عريف، و10 رتباء، 171 جندي[2].

ولقد شهد الجنرالات الفرنسية بعودة الأمير بكل قوة ونجاح، هذا ما سنكتشفه من خلال رسالة كافينياك (Cavignac) للامورسير(lamorcière)، قائلا: "لقد أصبح

خاص يمتاز لا بمقارعة السيف والتراشق بالرصاص بل بالرغبة في القتل ومحو أكبر عدد ممكن من السكان العزل .وقد بلغ كرهه للعرب أنه وضع مشروعا في سنة 1843 لم يوافق عليه رؤساؤه لأسباب نجهلها يقضي بتشكيل فرقة الإبادة بقيادته تتكون من 1800 أو 2000 جندي وضابط .

[1] - Paul Azan, Sidi Brahim, Dichormare Biographique international de etruvains par Henry Cornoy, ELF, Paris, 1902, PP 208-292.

[2]- أديب حرب، التاريخ الإداري والعسكري للأمير 1808م-1847م، المرجع السابق، ص 538.

عبد القادر سيد البلاد التي تمتد من الحدود الشمالية وأعالي التافنة، إنه لنجاح هائل له وأن أشعر أنني عاجز عن وضع عوائق في طريق زحفه".

كان لهذه العودة أثرها المعنوي على أتباعه وخلفائه فأعاد لهم الحماس من جديد للقتال والجهاد في سبيل الله والوطن وأوجد بذلك وكحدات عسكرية جديدة مقاتلة وبسبب تنقلاته في الفترة من أواخر سبتمبر وأواخر أكتوبر 1945م، صعب على القوات الفرنسية معرفة وتحددي مكان تواجده مما اضطر بيجو (bugeaud) للعودة إلى الجزائر في 13 أكتوبر 1845م، ووصلها يوم 15 أكتوبر من نفس السنة[1].

ومع الدعم القوي وفور وصوله مارس عملية تمشيط وإبادة واسعة وشاملة، فقمع قبائل ولهامة، ترارزة، سواحلية، مسيردة، وذلك بقطع أي تعامل مع الأمير أو تزويده بأي مؤونة.

كما قمع في 07 نوفمبر أولاد شعيب الذين استضافوا الأمير عندهم، وعندما وصلت أخبار عن مكان وجود جهز 18 فرقة لملاحقته بقيادة الجنرال يوسف، ولكن هذه الملاحقة لم تسفر عن شيء فقد ظل عبد القادر مدة 07 أشهر مشى فيها مسافة تعادل 38901 كلم، من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب، من السهول المحدقة للصحراء إلى القمم الثلجية في القبائل الكبرى وبذلك ترك فيهم التعب وخوران القوة واللهث، فعادوا إلى الثكنة دون أي نجاح[2].

وفي 23 ديسمبر تمكن الجنرال يوسف من الاشتباك معه في (تمدة) وأخذ جزءا من متعته، وأثناء المواجهة قتل تحته حصانه، وبعد هزيمته التالية أمام يوسف توجه نحو الونشريس بالشلف وعين الحاج بن سيدي مبارك خليفته وتوجه نحو الهضاب العليا لنجدة بن سالم.

وفي 05 فبراير اشتبك مع الجنرال جانتير وبلانجبني، وقتل تحته حصانين، ورغم ذلك ظل صامدا واستطاع الفرار مع بن سالم وصلوا حتى قبيلة آيت إسماعيل، ومنها حضرا في برج

---

[1] - Paul Azan, sidi Brahim, Op, cit, P 215.

[2] - Saint Duclimel d'Alger dans les affections chronique de la poitrine, M. I. L, Paris, 1856, P 851.

بوغني من منطقة القبائل وألقى خطابا فيها بحثا على الجهاد لكنه لم يبدي أية نتيجة، وكان الاجتماع في 05 مارس 1846م، ومن القبائل المؤدية كانت الإيرثن، يني، صدقة، والواسف[1]، ومنها انطلق إلى نحو الجنوب الوهراني وخلال طريقه قتل معه 70 رجلا منهم خليفته بن كليلة و250 حصانا و1000 جمل و25 ألف من الماشية والأبقار وأحصى في طريقه كل من الملازم لاكوت (كان كرئيس للمكتب العربي بتيارت)، وليفي (الترجمان) اللذان ماتا متأثران بجروحهما[2].

واستطاع عبد القادر الوصول إلى جبل عمور عند أولاد نايل، وفي نفس الوقت وقعت حادثة قتل الأسرى الفرنسيين في الدائرة من طرف مصطفى بن تهامي، بعدما باءت كل محاولات تبديل الأسرى بالفشل.

وفي ليلة 24-25 أبريل قتل منهم 170 وأسر 11 وأخذوا إلى الدائرة، وفي وقت كان الأمير يبعد 600 كلم عن المنطقة ووصل إلى جبال القصور في 21 ماي 1846م، عند أولاد سيدي الشيخ لطلب المساعدة لكنهم رفضوا بحكم قوة فرنسا، وخوفا من الإبادة، عندها عاد أدراجه إلى الدائرة لرؤية أهله الذين غاب عليهم مدة سنة كاملة[3].

الدائرة كانت موجودة على ضفاف ملوية، وبعد انضمامه لها أخذ دائرته وتوجه بها نحو تازة وخوفا من رضوخ قبائل المنطقة للأمير عبد القادر طلب سلطان المغرب من ابنه مُحَمَّد ولي العهد في فاس بمطاردته، ونظرا لهذا التعديد تقدمت الدائرة و11 أسيرا نحو منطقة عين الزهرة، وفيها راسل السجين كوربي، كل من كافينياك(Cavignac)، بيجو في طنجة يعلمهم برغبة الأمير بإطلاق سراح الأسرى المتبقين، وأعلمهم بأنه كان سخيا وطيبا معهم، وكذلك يجب

---

[1] - Santa (Pole p), Op, cit, P 858.

[2] -Zoumorouff (PH) et autres, Abdelkader, EF, 1994, P 70.

[3] - Op, cit, P 376.

إطلاق سجنائه، ولكن بيجو كان دائم يعتبر الأمير خارجا عن القانون لذلك رفض تبديل الأسرى معهم[1].

وقد كللت سنة 1847م، بحادثتين أثرتا فعلا عن نفسية الأمير:

1- وقف الخليفة بن سالم للقتال في 28 فبراير 1847م، في سوق الغزلان وتبعه أصدقائه، بلقسام أوقاسي وسيدي عبد الرحمان من جرجرة في 10 أبريل 1847م.

2- استسلام بومعزة للجنرال سانت أرنو وأخذوا إلى باريس بعد عدة معارك في الونشريس والشلف.

ب ـ 2/ المعارك الأخيرة للأمير ضد المغاربة:

في ربيع ماي 1847 جهز مولاي هاشم ابن أخ القائد بن الأكحل قوة كبيرة للقضاء على بني عامر والحشم والجعافرة الذين أخذهم الخليفة البركاني إلى فاس بمساندة الأمير فأبيدت هذه القبائل من طرف السلطان المغربي وقد صور مشهد هذه الحادثة الناصري السلاوي بقوله: بدأ جيوش هذه القبائل يقتلون أولادهم ونسائهم خشية العار وكانوا يستعملون موتاهم كدروع لتحميهم من الموت وعندما فشلوا في مواجهتهم قتلوا أنفسهم حتى لا يقعوا أسرى في يد المغاربة..."[2].

وبهذا فقد الأمير أهم قوة عسكرية كانت تمده بالمقاتلين، وفي نفس الوقت كان جيش الاحتلال بقيادة يوسف ورينوا، متواجد في الصحراء من غير منازع[3].

أما السلطان عبد الرحمان فقد جند 30.000 مقاتل بناء على طلب الفرنسيين، بقيادة ولديه مُحَمَّد وسليمان، إلى جانب قائد منطقتي وجدة والريف، هذه الأخيرة التي أرغمها

---

[1] -François Antoine Alby, les verpes marocaines ou les derniers prisonniers d'Abdelkader, ELN, Paris, 1853, PP 295-335.

[2]- السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القسم 03، ج 09، دار الكتاب، المغرب، 1856م، ص ص 57-58.

[3] - Juliane (Ch, A), l'histoire de l'Algérie contemporaine, conquête colonisation 1827-1871, Paris, 1864, P 205.

عبد الرحمان للانضمام له بعدما قام بغزوات شنيعة ودامية، ومصادرات وغرامات إجبارية للدفع والتعذيب والتنكيل، حيث نشرت الرعب في كل المملكة وذلك قبل وصوله إلى فاس في نوفمبر 1847م، ايين سلم والده الإمدادات وانطلقوا إلى نهر ملوية[1].

وكان التنسيق تاما بين المغاربة والفرنسيين في مطاردة الأمير فكانوا يعملون على عمودين: العمود الأيسر بجانب جبال الريف والعمود الأيمن يتجه نحو ملوية وفي نفس الوقت قائد وجدة كان يجمع المخزن (القومية). أثناء هذه الاستعدادات وفي 17 نوفمبر تعرض عبد القادر من منطقة بني سناسن للضرب، وهذا ألزمه الرجوع إلى الوراء وكان الحصار من كل ناحية، ففي الشمال البحر، وفي الغرب وجنوب غرب الجيوش المغاربية، الجنوب الشرقي قائد وجدة وبني سناسن عندما وجد نفسه في هذا الموضع أرسل وفدا يتكون من البوحميدي للمفاوضات مع سلطان المغرب، وصل البوحميدي يوم 27 نوفمبر ولكنه استقبل في 03 ديسمبر 1847م، خلال المفاوضات ضل الملك متمسكا بمسألة الاستسلام للأمير ورفاقه فسجن الخليفة البوحميدي بعدما اتهم بقتل ابن الأحمر وأجبر على تناو السم ومات خلالها[2].

وبعد علم الأمير بسجن صديقه المقرب وصل منطقة سلوان، وهاجم في ليل 11 ديسمبر حتى صباح 12 ديسمبر 1847م، القوات المغربية بقوة لا تفوق 500 فارس استطاع القضاء على العديد من الرجال (100 قتيل)، أما من جانبه فقد قتل له 200 خيالا وعدة جرحى، وهذا ما أدى إلى انسحابه إلى نهر ملوية لحماية دائرته من الزحف المغربي وانحصر جهده في هذه المرحلة القادمة فقط للدفاع عن الدائرة التي تحتوي عائلته والأطفال والنساء والشيوخ، وحيواناتهم وخيولهم وأمتعتهم وهكذا فقط انتهت المقاومة رسميا في معركة سلوان 11حتى 12 ديسمبر 1847م التي تعبر كخاتمة لمسيرته الجهادية دامت 15 سنة[3].

---

[1] - lesuri, CL:Amuaire historique, Paris, 1848, PP 389-392.

[2] - Themestocte Lestiboudis, Op, cit, PP 389-392.

[3] -D'herusson, Op, cit, 312-365.

وجد الأمير عبد القادر نفسه محصورا بين القوات المغربية والقوات الفرنسية بقيادة الجنرال لاموريسير(lamorcière) فقرر أن يجنب أتباعه الاستئصال والهوان، والتسليم وفق شروطه لا وفق شروط السطلات المغربية التي خانته وخذلته وخالفت العهود بل الفرنسيين الذين حاربوه كأعداء طبيعيين[1].

ولم تكتمل كل قوة الأمير عبد القادر ولم تنهك كل مخططاته فكما قال الرئيس الأسبق للجزائر الهواري بومدين مقتبسا الكلام من الأمير عبد القادر نفسه: "نحن لم نخسر الحرب بعد، فقط خسرنا المعركة لأننا لم نستعمل لكل الطاقات المادية والبشرية، فمادام هناك روح تنبض لا تزال روح الحرب قائمة ..."[2].

وهكذا بدأت بادرة من الأمير عبد القادر لا تقل أهمية عن المعارك، فهذه الأخيرة كان سلاحها السيف أم المبادرة الأخيرة قامت بالعقل والحكمة، فقد أبقى الأمير عبد القدر على حياة ما تبقى من جيشه ودائرته وحفظ ماء وجههم، فقرر بعد مشاورة أصحابه أن يسم نفسه ويوقف القتال وفق شروط هو يمليها، وتم ذلك بمعاهدة بين الأمير عبد القادر والجنرال لاموريسير(lamorcière).

ودار نقاش بائس وبطولي بين الأمير ومن شهد المشهورة: بائس كون الخيارات الأنسب للأمير كان الاستسلام إن صحت العبارة، وبطولي كونهم في هذا الحال قدموا أنفسهم في سبيل الجهاد، قال الله تعالى: ﴿**يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[3] ، وانتهى عندما أخرج الأمير عبد القادر قطعة من ورق ووضع عليها خاتمه، لقد كان المطر الغزير يعيقه في الكتابة، فترك للفارسين المكلفين بنقل الرسالة إلى القائد الفرنسي كتابة الشروط[4].

---

[1]- برنو إتين، المرجع السابق، ص 234.

[2]- أحمد درويش، في صحبة الأمير بن أبي فارس الحمداني والأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 175.

[3]- سورة الحشر، الآية 09.

[4]- نزار أباضة، الأمير عبد القادر الجزائري، العالم المجاهد، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1994م، ص 12.

استقبل الجنرال لامورسيير(lamorcière) في ليل 21 ديسمبر الفارسيين وأبلغاه رغبة الأمير في الاستسلام[1]، اهتز سرورا وبادر إلى ورقة مهرها بختمه على بياض وأرسلها معهما لنفس السبب (المطر)، ولكيشترط فيها الأمير ما يريد ويعث معها سيفه وخاتم الضابط (بازين)[2] لتقديمهما إلى الأمير عبد القادر علامة قبول شروطه.

واشترط الأمير سلامته وسلامة أسرته ووزرائه وضابطه، واتفق معهم أن يخرج بأسرته إلى عكا أو الإسكندرية وأن يكون كل من يعني في البلاد أمنا على حياته وماله وأهله[3].

أفاد الأمير من توقف المطر قليلا فكتب رسالته إلى لامورسيير(lamorcière)، ضمتها الشروط السابقة، وعاد فأرسلها إلى مبعوثيه، وأثناء ذلك كان لامورسيير(lamorcière) قد نقل الخبر إلى (الدوق دومال)، الذي أصبح حاكما عاما للجزائر[4].

لما تأكد للأمير عبد القادر أنه إذا استمر في الجهاد سيأدي ذلك الى مجزرة في حقه وحق من بقي من جيشه ودائرته، إرتئ الأمير أن يساوم بما بقي له من أوراق رابحة فلم يخسر كل جيشه، فطلب الأمان مقابل إيقاف القتال فتم ذلك وبفرح من قبل العدو الفرنسي فقد أنهك الأمير قواهم وكبدهم خسائر فادحة .

ج - معاهدة الاستئمان 22 ديسمبر 1847م:

ج - 1/ التقرير بالإجماع لوقف القتال:

بعد زوال كل سبل النجاح أمر الأمير عبد القادر كل دائراته بالإجماع معه، وبحضور مجلس الشورى في 22 ديسمبر 1847م، وخطب فيهم قائلا وهو بكامل يأسه وحزنه: "تذكرون العهد الذي أعطيتموه لي في المدية عندما عاودنا الحرب، العهد الذي لا يمكنكم نسيانه مهما كانت الأخطار والمعاناة، وقالوا له كلا نتذكره، ومثبتين به، قال: هذا العهد اعتبرته

---

[1]- تحفة الزائر، المصدر نفسه، ص 40.

[2]- أحمد درويش، المرجع السابق، ص 178.

[3]- شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 95.

[4]- تحفة الزائر، المصدر نفسه، ج 1، ص 91.

ربط بينكم وبيني، وهذا الاعتماد الوحيد الذي حثني على المثابرة في الجهاد حتى هذه الساعة، ورغم الأمل، كنت متمسكا بأنه لا يوجد مسلم مهما كانت درجته وشرفه أن تكون له فرصة لاتهامي بأنكم عاهدتموني وعاهدتكم، ثم أخلفتكم أو إنني لم أقم بواجبي لنصرة كلمة الله، وإذا تصورتم أنني يمكن أن أفعل أي شيء حتى الآن، فقولوها، وإذا لا يوجد ما تقوونه لي أطلب منكم بأن تسمحوا لي بأن أتبرأ من العهد الذي منحتموني إياه، فقالوا له: نشهد كلنا أمام الله بأنك قمت بكل ما استطعت ما كان يمكنك فعله والله سيجازيك يوم الحساب"[1].

وقد الأمير الحديث من جديد: "وإذا كذا رأيكم، فأما من ثلاثة احتمالات، إما العودة إلى الدائرة، حيث يكون مستعدين لمواجهة أي عقبة ونواجه الكل، وهذا ما يشبه الانتحار، وأما محاولة إيجاد طريق إلى الصحراء، وفي هذه الحالة لا تستطيع النساء والأطفال والجرحى أن يتبعونا ويقعون في أيدي العدو، وأما الاستسلام، فأجابوه: يهلك النساء والأطفال، أهلنا وأهلك، مادمت أنت قائما وقادرا على متابعة الجهاد في سبيل الله، إنك قائدنا وأميرنا، فحارب أو استسلم كما تشاء، إننا سائرون وراءك إلى حيث تقودنا"[2].

ج . 2/ مصادقة الدوق دومال (daumale)على التعهد المقدم من لامورسير(lamorcière):

مباشرة بعد استلامه لرسالة الأمير عبد القادر أرسل لامورسير(lamorcière)[3] رسالة إلى الدوق دومال (Duc d'Aumel) جاء فيها: "... الناس الذين حادثتهم هذا المساء أكدوا في حالة الضياع التي يوجد فيها الأمير عبد القادر، ... عندما بدأت في صياغة هذه الرسالة وأنا تحت وقع هذه الأخبار المتضاربة حتى جاءني بن حوية بصحبة مبعوثي الأمير،

---

[1] - Churchuill, la vie d'Abdelkader, M, H, Alger, 1981, P 270.

[2]- برونو إيتين، المرجع السابق، ص 236.

[3]- لامورسير (la morcière): هو لويس بيكودي لامورسير قائد عسكري فرنسي (1805م-1865م) حاكم مقاطعة وهران سنة (1840م-1848م)، كان للأمير معه مواقف عديدة، منها تعهد الأمير باسمه وباسم ملك فرنسا أن يحمله إلى المشرق، كنه لم يف بوعده، عين وزيرا للحرب في 28 جوان 1448م، والأمير سجن بو، للمزيد، أنظر: الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر مسيرة كتبها في السجن، تح: محمد الصغير بناني، وآخرون،1849م، ص 36.

كان يحمل لمسيفي وخاتم الكومندان بازان إضافة إلى رسالة من الأمير عبد القادر ولي الثقة الكاملة في سموكم والحكومة في تزكيتها إذا وثق الأمير في الأمان الذي أعطيته له..."[1].

وقال أيضا: "... كنت مضطرا أن ألتزم بتعهداتي، أنني فعلت ذلك وأنا على يقين أن سموك والحكومة إلى الدائرة وليس لدي الوقت لأرسل لكم نسخة من الرسالة التي وصلتني أو من جوابي عليها، ويكفي أن أذكر بأني وعدت ووافقت أن يأخذ الأمير وعائلته إلى عكا أو الإسكندرية، ولم أذكر سوى هذين المكانين وهما اللذان ذكرهما في مطلبه وقبلتهما..."[2].

ولقد نشرت صحيفة "المرشد le Monitorer" بتاريخ 03 يناير 1848، أن الفرنسيين قالوا: أتاح لنا استسلام عبد القادر أن نحفظ عدد الرجال وتقلل من الأموال المخصصة لأفريقية وأمكن فرنسا أن تنقل إلى أماكن أخرى آلاف الرجال الذين وضعوا لهذه الشعوب تحت نيرانهم[3].لعل الأمير عبد القادر لم يكن يستطيع إملاء شروطه والابتعاد عن توقيع اتفاقية سياسية مع فرنسا لو أن الاستئمان الأمير جاء بعد هزيمة واضحة أمام الجيش الفرنسي، فعندئذ سيملي الجنرال الفرنسي كل شروطه العنجهية بما عرف عن فرنسا وجنرالاتها في مثل هذه الحالات، بل إن معركته الأخيرة مع سلطان المغرب لم تكن معركة حاسمة ونهائية توجب على الأمير الاستسلام فقد كان بإمكانه خوض معركة أخرى نهائية سواء مع السلطان المراكشي أو مع الجنرال الفرنسي لكنه كان يحتفظ بطاقته الخيرة ويتمكن من المساومة، وقد نجح في ذلك فعلا وظل سيفه معه، وحتى الآن لا يتحدث المؤرخون الفرنسيون عن يوم انتصار لهم على الأمير بينما أقامت فرنسا أقواس نصر حين انتصرت على مملوك وأمراء آخرين في أوروبا.

---

[1] - François Charles Theouare, Touchard la fosse, histoire de la gendarmerie d'afrique d'après les douimant de larmée 1830, 1860., L.A.B.E, 1860, PP 226-330.

[2] -Ibid, PP 285-286.

[3]- برونو إتين، المرجع السابق، ص 238.

وتجنب الأمير في طريقته بإدارة الاستئمان عدت نقاط منها:

1- لم يوقع أية اتفاقية أو بالتعبير الآخر اتفاقية صلح باسم الشعب وبالتالي تجنب إهانة الشعب الجزائري وإهانة نفسه.

2- ربط استئمانه بشرف فرنسا إذ تدرج في الاتفاق والتوثيق من جنرالات إلى ابن الملك شخصيا[1] من خلال ما قاله لاموريسير (lamoriciere) كان التعهد في صالحهم رغم أن الأمير هو الذي أملى الشروط فقد أنهك الأمير قواهم الذي كانوا يتفاخرون بها وهنا نلمس أن الأهم عنهم ليس الوعد، إنما الاستسلام وأن يكون الأمير في قبضتهم، فالنظر الثاني من الوعد، إما الإبقاء أو عدمه عندهم سواء حسب مصالحهم فبالتأكيد الدوق دومال(daumale) وموافقته على التعهد قد أضمرت في خباياها النكث قبل أن يلتقي الطرفان حتى.

أما من جهة الأمير فقد خسر كل شيء إلا كرامته وكرامة الجزائر، فقد خسر مكسب أسلافه بسقوط الزاوية... وخلال ليالي سهر لا نهاية لها كان يرتل القرآن الكريم ويستشعر في كل آية حالته، يبحث عن درب يدخله إلى النجاة بأخف الأضرار، وها هو قد جعل من بقي له ويذكرهم بإيمانهم وكان الممر غارقا في ضباب تزيد من كثافة نفثات الدخان المنطلق من أحمال الحلفاء المحترقة[2].

استخدم الأمير كل قوته وقدراته ولم يشأ أن يزيد الخراب خراب آخر وآثر العدو على الحليف الخائن فالحليف سيقدمه على طبق من ذهب إلى العدو، بهذا تجنب ذل وإهانة نفسه ولمن معه[3].

فغدى الأمير بخطوات ثابتة إلى قبر سيدي إبراهيم وقام بفروضه الدينية وتقدم بعدها إلى جامع الغزوات.

---

[1]- سهيل الخالدي، الإشعاع المغربي في المشرة، ط 1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997م، ص 25.

[2]- نزار أباضى، المصدر السابق، ص 14.

[3]- برونوا إيتين، المرجع السابق، ص ص 237-238.

يتوضح لنا هنا أنه قبل طائعا مختارا بعد أن أعلن عن الموافقة على شروطه بالتنازل ومغادرة البلاد، حيث شوهه الأمير وهو يرتدي برنسين أبيضيين تحت عباءته السوداء كان أكثر شحوبا وزهدا من كل ما سبق وقفز عن جواده الأثير وقدم عنانه للدوق دومال (daumale) ووضعت اليد على ممتلكاته وبخصت قيمتها وحتى سفينه وحصانة لم يسلما ولم يصعد الأمير بهما في السفينة، هناك من يقول: قدمهما بنفسه وهناك من يقول أخذا منه عنوة[1].

وكرد على ما يقال عن الأمير عبد القادر أنه استسلم، فالاستسلام معناه أن يخسر الشخص الحرب أو في معركة ويستسلم، ولكن هذا لم يحدث مع الأمير عبد القادر لأن معركته الأخيرة كانت ضد المغاربة في السلوان وليس ضد الفرنسيين، كما أنه أوقف القتال طوعا وما قام به يسمى وقفا للقتال أو طلب للأمان[2].

كان الأمير عبد القادر يقوم بما يمليه عليه الواجب الديني والوطني وما تمليه عليه الكرامة الوطنية، وعلى حسب بعض الذين عبروا عن آرائهم واعتبروا أن انتحاره هو المخرج البديل بدل وقف القتال، فإذا لم يكن وقف القتال وقفا بطوليا فإن الانتحار كذلك ليس موقفا مشرفا خصوصا وأن الدين الإسلامي الحنيف يحرم قتل النفس قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا**﴾[3].

وحتى مع عدم إيفاء فرنسا لوعدها مع الأمير عبد القادر لم ينتهي دوره فكل مخططات فرنسا وخداعها للأمير ونفيه من بلاده واعتقاله في سجون فرنسا لم تنتهي عزيمته الشامخة فسيلي الآن أسر الأمير وكيف تعرض للخداع أو للخديعة الكبرى وسميت بالكبرى لأنها وحتى خداع الحرب لم يشفع لها "الحرب خدعة".

---

[1]-بديعة الحسني، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، حقائق ووثائق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2000، ص 211.

[2] -Charchuill, la vie deabdelkader, op cit, p 74.

[3]- سورة الإسراء، الآية 33.

د - اعتقال فرنسا للأمير عبد القادر ونقدها الغادر للعهد:

في 24 ديسمبر 1847م غادر الأمير أرض الوطن التي أضنى في سبيلها زهرة شبابه، ووهبها روحه ونفسه وقلبه ينظر حصرة وألما، راشيا بقضاء الله وقدره، مساخرا من هذا الزمن الذي لا يبقى على حد ثناه، هو وأتباعه الثمانون على متن السفينة أسمودس (Asmodeus)[1] حيث توجهت بهم تمخر عباب البحر المتوسط إلى ميناء طولون Toulon[2] الحربي في 01 جانفي 1848م رست الباخرة في مرفأ طولون في حالة انتظار لبعض الوقت حتى تصل توجيهات من الدول العثمانية، ولكن قبل أن تصل هذه التعليمات دخل على الأمير عبد القادر الكولونيل دوماس (Doumas)[3] وأدى له التحية العسكرية بكل احترام وتقدير، ثم أخبره أن المفاوضات لم تنته بعد، وأن عليه الانتظار بعض الوقت فشعر أن هناك نية غدر مبنية ولم تخنه فراسته وتأكد من الخديعة والغدر عندما أبحرت بهم الباخرة، ودخل عليه دوماس واخبره أنهم قاصدون فرنسا حسب أوامر الملك الذي يعتذر له عن عدم الوفاء بشرط "الهجرة" لأنه حتى معارضة شديدة من مصادر عليا في فرنسا وقال له أيضا على لسان الملك: أن فرنسا مستعدة لأن تمنحكم أراض شاسعة وقصور تعيشون فيها مكرمين، ويستطيع أفراد حاشيتك امتلاك زارع يعملون فيها طيلة حياتهم إلى جانبك[4]. فرفض الأمير عبد القادر قائلا: "لو

---

[1]- برونواتين، عبد القادر الجزائري، ص 250.

[2]- طولون (toulon): مدينة تقع جنوب شرق باريس على بعد 840 كلم وهو قاعدة بحرية وتجارية على ضفة البحر الأبيض المتوسط بها نزل مركب الأمير عندما حول اتجاهه وهو سائر إلى المشرق. ينظر:
petit lorousse en couleurs, hbairie larousse, edition 1986, paris, september 1985, p 1603.

[3]- أوجين دوماس (1803م-1871م): جنرال فرنسي حارب في الجزائر تحت إمرة الجنرال كلوزيل اهتم بدراسة اللغة العربية، تولى عددة مناصب تتعلق بالشؤون الأهلية، عين قنصلا لدى ألأمير عبد القادر ورافقه إلى سجن لامالغ بطولون أخضر.

[4]- محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، قسم من كتاب الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، د ج، د س، ص 267.

ملكتموني فرنسا كلها فلن أقبلها عن وطن عربي إسلامي، أعيش فيه ولو وضعتم فرنسا كلها في برنسي هذا وفرشتموها بالديباج لنفضته إلى الأمواج التي تضرب جدران الباخرة الحربية"[1].

وقبل وصول الباخرة الحربية إلى ميناء طولون سأله دوماس (doumase) إن كان يريد زيارة باريس فلقد نسبق أن زارها إبراهيم بإنشاء خديوي مصر، وكان سعيدا برؤيتها، فأجابه الأمير: إن هذا المذكور زارها سائحا للنزهة فقط ولكني الآن أرى فرنسا إلا سجينا لي ولمن معي وقد أردت أن أكون ضيفا على بارجتكم، فأصبحت أسيرا لديكم، وبعد ذلك نقل مع كل من معه إلى حصن طولون الشهير تحيط بهم حراسة شديدة واعتبرته فرنسا أسيرا ولم تكتفي بهذا بل ضيقت عليه وحرمته من كتابة الرسائل ومنعت الناس من زيارته إلا بإذن خاص من الوزارة العربية[2].

وهكذا وجدت فرنسا نفسها أمام رجل عظيم لا يبيع أقواله ومبادئه بزخرف الدنيا ومتاعها، فالرجل بطل حرب وبطل كلمة، وأيقنت أن لا سبيل

مع الأمير المصمم على أمره، فتركته أسيرا لعل الأيام والأسر يتكفلان بإحباط عزيمته، ويثنه عن إصراره وصموده[3].

وتمر الأيام وهو يصبر ويصابر ويشجع أهله ورفاقه يمنيهم بقرب الفرج بإيمان قوي وعزيمة جبارة لا تعرفان اليأس[4].

هناك من قال أن أسر الأمير عبد القادر كان نتيجة للأوضاع العامة التي كانت تعيشها فرنسا ولتهدئة الرأي العام الفرنسي بأسرها للأمير ولاكن هذا السبب واهن فقد تعامل الأمير

---

[1]- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، د ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع السعري السعودي، 2000م، ص 50.

[2]- محمد مراد بركان، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، د ط، دار النشر الإلكتروني، الجزائر، 1990م، ص 23.

[3]- الطاهر بن عائشة، جوانب حساسة في حياة الأمير عبد القادر، مجلة ألوان الجزائر، 1983م، ع 54، ص 30.

[4]- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج 2، المصدر السابق، ص 511.

معهم بما هو أهل له وتعاملت معه الحكومة الفرنسية بما هي أهل له من خيانة وغدر ونقض للعهود ...

هـ - الوضع العام في فرنسا إبان أسر الأمير عبد القادر:

في 24 فيفري 1848م وقعت ثورة فرنسا ضد ملكية لويس فليب ولم تؤثر الثورة على سقوط الملك فحسب بل إلى تغيير النظام كله إذ تحول من الملكية إلى الجمهورية الثانية[1]، وتأثرت الثورة بالفكر اليساري الذي كانت تحمله حركة اشتراكية قوية نتجت بسبب ما خلفته الحروب النابليونية وآثارها من أزمة اقتصادية وعجز كثير في خزينة الدولة[2] وكان من أبرز زعمائها الشاعر لامارتين، والكاتب لوي بلان، الذي فشل مشروعه للقضاء على البطالة[3].

انتخب لويس نابليون كرئيس للجمهورية من طرف الجمعية الوطنية الفرنسية في شهر ديسمبر 1848[4] فلم يكن هناك في نظر الفرنسيين أفضل من هذا الرجل لتولي هذه المهمة لأنه ابن أخ بطل فرنسا فرأى الشعب الفرنسي فيه امتداد لعمه[5] مما جعله يشعر بالقوة فعمل تدريجيا على حصر جميع السلطات في يده، وتخلص من خصومه وعمل على كسب ولاء الجيش والشرطة وكبار المسؤولين في الدولة، وفي شهر ديسمبر 1952 ألغى النظام الجمهوري وانشأ الإمبراطورية الثانية التي ترجع على عرشها إلى غاية انهزام جيشه في معركة سيدان، وأسره من طرف الجيش البروسي سنة 1870م[6].

---

[1]- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900م-1930م) ج 2، مرجع سابق، ص 33.

[2]- عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر وأوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص 203.

[3]- آرثر جحيمس جرانت وهارولد تمبولي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950، ج 1، تر: بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، ط6، القاهرة، د ت، ص 285.

[4]- غرانت وهارولد، المرع السابق، ص 286.

[5]- مُحَمَّد عبد الستار البدري، نابليون الثالث ودروس للشعوب، جريدة الشرق الأوسط، ع 11973، 9 سبتمبر 2011م.

[6]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962م، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 126.

لقد ساعدت الظروف الداخلية لفرنسا على بروز نجم الأمير لويس نابليون، ونظر الشعب الفرنسي اليه على أنه المخلص لهم من حكم فاسد عجز عن حل المشاكل الاجتماعية التي كانوا يعانون منها[1].

لقد كانت السنوات الأولى لحكمه سنوات رغد وإنجازات فوضع خططا لتطوير الصناعات وشجع الاستثمار ونظم الضرائب[2] ولكنه اتبع سياسة متشددة في مجال الحريات، بدأت بالرقابة على الصحف والكتب ثم تحولت إلى الرقابة على المعارضين السياسيين إلى أن أصبح نظامه دكتاتوريا، فضجت السجون بالمعارضين وشددت الرقابة على التجمعات والفكر والإعلام والرأي، واصدر نابليون الثالث مراسيم لنفي بعض معارضيه إلى
الخارج ومنهم الشاعر فيكتور هيجو[3]، أما في مجال السياسة الخارجية قد انشغل الإمبراطور بالمسألتين الشرقية والإيطالية، وكان بحركة الطموح الكبير الذي راود عمه في تأسيس إمبراطورية واسعة، ومنها جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية[4].

لقد ساعدت الأوضاع المستقلة في أوربا نابليون الثالث على الاهتمام بمشروعه الطموح في إنشاء الإمبراطورية "المملكة العربية" الحيز الأكبر فيها.

---

[1]- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود مُحَمَّد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م، ص 330.

[2]- مُحَمَّد عبد الستار البدري، المرجع السابق، "المقال".

[3]- فيكتور هيجو (vector Hugo) (1802م-1885م) شاعر روائي وفيلسوف ومفكر فرنسي ولد في بيزانسيون بفرنسا عام 1802م كتب أول قصائده وهو في سن الرابعة عشرة ثم ما لبث أن اشتهر بإصداره لديوانه الأول (أغاني وقصائد أخرى) نفي سنة 1851م، بعد انقلابه على الجمهورية الثانية، من مؤلفاته: الشرقيات، أوراق الخريف، ملحمة الأجيال، البؤساء، أحدب نوتردام. ينظر: مجدي سيد عبد العزيز، موسوعة المشاهير، ك 2، دار الأمين، القاهرة، ط 1، 1996م، ص ص 55-60.

[4] -Renépilloyet, les deux voyages de Napolion 3 en Algérienne (1860 et 1865) pevue du du souvenir Napolionien, n 363. Année 1989, p p 30-36.

أو جاك فريمو، فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتران، تر: هشام صالح، ط 1، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، دار الأرض للنشر المحدودة، قبرص، 1991م، ص 87.

وتكاد تجمع مجمل الكتابات التي أرخت للاستعمار الفرنسي في ضل الإمبراطورية الثانية على أن الجزائر قد حظيت بمكانة خاصة لدى نابليون الثالث، حيث قام بزيارتين لها سنة (1860م-1865م)[1].

لقد كانت معاناة الأسر معاناة لا تتحملها الجبال فكيف للإنسان أن يتحملها، ورغم كل هذه المعاناة قد تحمل الأبطال بما يجعلهم مؤهلين لهذه الكلمة، فالكبار قد صبروا فما حال النساء والأطفال، حقا إنه وضع يئن له الصخر قبل الأكباد .

و - 1/ الحياة اليومية للأميرة عبد القادر بطولون:

في 08 جانفي 1848م، وصلت أوامر من الحكومة بإرسال الأمير عبد القادر إلى فور لامالق، وهنا بدأت أحاسيس الحزن على وجهه لأنه عرف أن نقله إلى طولون ليس مؤقتا وإنما سيدوم طويلا، وبذلك بدأت حياته ومن معه تبدأ مرحلتها الأولى من معانات ستدوم 05 سنوات وبدايتها من 08 جانفي 1848م[2].

وقبل مغادرته وعائلته مدينة لازالت أين كانت تنتظرهم العربات على شكل موكبين:

الأول: يتجه بالأمير ومن يختارهم معه إلى فورلامالق (for la malge)[3].

الثاني: يتجهون بهم من فورمالبوسكي(for malbousqui)[4].

وكان هذا لموقف حزن كبير على الأمير فكلهم عائلته فمن يختار وعلى من فلا يوجد أمامه خسارة أمام هذه المعاملة القاسية من العدو، وهكذا تم افتراقه مع 71 شخص من أحبائه وأوفيائه وسط بكاء الاطفال، ومشوا بهم في طرقات ضيقة وسرا باتجاه فورمالبوسكي (for malbousqui) وقد حصل كل من زوجاته الثلاث وأمه وأطفاله وقدور بن علال ومصطفى بن

---

[1]- المحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار بالمغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1994م، ص 167.

[2] -jean josiph, français pourjolat. Etude ofucaine. Recits et pensée d'un voyageur. Pc. Paris, 1847, p 127.

[3]- فورلامالق: هو حصن عسكري يتموقع في شرق طولون.

[4]- فورمالبوسكي: يوجد هذا الحصن في مدينة كاستيو أين يوجد فيه التمديدات والمدافع ويقع في الغرب من طولون.

التهامي[1] وقارة مُحَّد على الموافقة لمرافقته إلى فورلامالق(for la malge)، وكان لهذا افراق اثره البارز على نفسية مرافقيه خاصة منهم من انفصل عنهم، ومن المؤكد أن اختيار الحكومة الفرنسية لحصن لامالق لم يكن صدفة، لأنه ميناء عسكري يقع قرب البحر ويمثل الضمانات الأمنية ليصعب على الأمير العودة للجزائر إن كان لبيت هذه النية في باطنه.

كانت يوميات الأمير في طولون متشابهة، كان ينهض في الصباح يتوضأ، وبعدها يصلي صلاة الفجر ثم يأخذ أول وجبة وهي الخبز والزبدة، والفواكه المجففة، لتأتي بعد ذلك فترة زيارة والدته فيمضي معها بعض الوقت ويبقى عندها حوالي الساعة، وبعدها يزور أصدقائه، ثم تأتي فترة أطفاله أين يبقى منفردا معهم، ويعيد تدريسهم ما كانوا يتلقونه على يد مشايخهم أمثال مُحَّد بن عمران، والمختار، إلى أن يحين وقت الغداء، وفي منتصف النهار يؤدي صلاة الظهر[2].

وبعدها يبقى في غرفته يكتب أو يقرأ، أو يستقبل الشخصيات التي جاءت لزيارته حتى الساعة الثالثة، أين يقوم مع رفاقه لصلاة العصر، وبعد الصلاة تقام حلقة درس يلقيها الأمير أو مصطفى بن التهامي أو الأمير شخصيا، ثم يأتي وقت زيارة العائلة زوجاته —ووالدته، من الخامسة حتى السادسة، ليأتي وقت صلاة المغرب جماعة، بعدها القراءة الجماعية حتى الثامنة مساء ثم يأتي بعدها النقاش في علم الحديث أو حول نقاط قانونية أو تفسير لبعض الآيات، ثم يختم يومهم بصلاة العشاء بعدها يأخذون آخر وجبة ثم يلقي الامير مع أقرب الأقربين حتى العاشرة أو الحادية عشر ليلا[3].

وهكذا فقد أصبحت حياتهم تمر كأنها ألف سنة في انتظار الفرج، وقد انعلق الأمير في غرفته، وقد قبعت حركته وكذا حريته بكل شكل من الأشكال، ونفس المصير لقيه رفاقه إلى

---

[1]– السيد الحاج مصطفى بن احمد التهامي ولد سنة 1796م كان أحد المقربين من الأمير عبد القادر، وصهرا له رافقه إلى السجن في فرنسا، ثم رحل معه إلى المشرق. أنظر: الأمير عبد القادر، سيرة كتبها في السجن سنة 1849م، المصدر السابق، ص 166.

[2] -Alexender Bellemar, Abd-el kader savie politique. Et militare, libraire de l, hachette et cie, paris, 1863, p 349.

[3] -harace de viel castel, mémoire du comte de viel castel, E.F.F, paris, 1864, p 90.

جانب البرودة القاسية والشديدة، سوء الإضاءة الرطوبة في كل مكان، وعدم وجود تدفئة كافية.

و - 2/ مواصلة معاناة الأمير ورفاقه في المعتقل:

لم يلبث الأمير عبد القادر طويلا في أسره بطولون (toulon) حتى نقل ومرافقوه إلى سراية بو (pau)[1] عند الحدود الإسبانية الفرنسية وضل الأمير منتقلا بين السجون فمن طولون (toulon) إلى بو (pau) غلى بوردو (Bourdou) ومنها إلى نانت (Nante) ليستقر به المقام الأخير في قلعة أمبواز (Amboise)[2].

وبموجب قرار الحكومة وبمحضر الاجتماع المؤرخ في 26 مارس 1848 تقرر إرسال الأمير إلى قصر أميواز مع عائلته ومقربيه يقدرون بـ: 88 شخص، شعر الأمير بالإحباط بعد أن ظلت رسائله دون رد ومخالفة الجنرالات لعهدهما وقيام مرافقيه بمحاولة انتحارية لتلطيخ شرف فرنسا ما دفع حكومة كافنياك (cavigniace) إلى اتخاذ إجراء صارم يقضي بنقله إلى أمبواز ومنع عليه أي اتصال بالخارج فوصل الأمير إلى القصر في 28 أبريل 1848 بيوم الجمعة[3].

ولم تفتئ الحكومة الفرنسية تراوده وتغريه بالوعود ليتنازل عن حقه في الذهاب إلى المشرق ولكنه ضل كما عهدناه رافضا كل المغريات، فإما أن يطلق سراحه أو أن يقضي نحبه ويكون في ذلك العار لفرنسا للأبد[4].

---

[1]- بو: pau مدينة تقع في ضفة نهر الكواف وعاصمة إقليم بيارن (bearn) وهي إلى الجنوب الغربي من باريس وعلى بعد (760) كلم منها. ينظر: petit larosse en couleures cop cit, p 1471.

[2]- أمبواز (Amboise): مدينة في دائرة تور، تقع على نهر اللواز بها ولد ومات شارل الثامن وقد استخدم قصره لإقامة ألأمير عبد القادر (1848-1952).

[3]- البيطار عبد الرزاق، حلية البشري تاريخ القرن الثالث عشر، تج: مُحَمَّد بهجة البيطار، ج 2، ط 1، دار صادر، بيروت، 1963م، ص 893.

[4]- مُحَمَّد بن عبد القادر، المصدر نفسه، ج 2، ص 542.

حيث شددت الحراسة عليه بعد انتشار شائعات مفادها أن عملاء إنجليز يخططون لتهريبه[1] فقد كان يقضي النهار مع عائلته أما في الليل كان ينظر إلى برج كاستون (kaston) مرورا بنفق داخلي في الجناح الأيسر من القصر وتحت حراسة مشددة بحوالي 29 حارسا، فالنفق كان طويل وشديد البرودة

وانعدام الخشب للتدفئة، وتأثير ذلك على الظروف الصحية، فلم يتأقلموا مع المناخ البارد إلى جانب قلت المواد الغذائية وانعدام شروط النظافة[2].

وبوصوله إلى أمبواز استقبله أسقفها ديبوش(dubouch[3])وفي هذه الفترة تزاحم عديد الناس من أنحاء فرنسا على زيارة الأمير منهم رجال السياسة الدبلوماسيين والعسكريين. تحدوهم مشاعر الفضول والإعجاب[4] وكان الأمير يكتب كثيرا إلى أصدقائه في بو والوزراء والجنرالات والماريشالات[5].

أرسل الأمير عدة رسائل إلى الجنرال لاموريسير(lamoriciere) والدوق دومال(daumale) اللذان وقعا أمامه على شروط استسلامه، وقام لاموريسير،(lamoriciere) بمساعي كثيرة إضافة إلى الأسقف ديبوش(dubouch) والدوق دومال(daumale) للضغط على فرنسا قائلين أن الأمير عبد القادر ليس بالرجل الذي يهرب من قضائه، فهو مؤمن ذو همة ولد وصبر، ولا يبالي بالشدائد، وهو ذو قوة وعزة نفس وصلابة في دينه وصدق اشتهر به، وهو شديد التمسك بمبادئه الوطنية وهو شخصية نادرة إذا وعد وفى وإذا تكلم صدق، واستطاعوا بذلك التأثير في السلطات العليا فسمحت بلم شمله مع أهله وقادة جيشه السابقين[6].

---

[1]- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 257.

[2] -Pouryolat, Etude africaine, récits et pensée d'un voyageur, P.C, paris, 1847, p 230.

[3]- محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 12.

[4]- شارل هنري تشرشل، نفسه، ص 258.

[5]- برونو أتين، مرجع سابق، ص 261.

[6]- محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص ص 269-270.

و - 3/ استمرار معاناة الامير عبد القادر في قصر امبواز:

تألم الأمير عبد القادر كثيرا فالأسر سيطول فسلم أمره لقضاء الله وقدره، ولذلك فعليه أن يفكر في أمر يشغله به هذا الفراغ الرهيب، فانطلق بنفس مؤمنة قوية يتفرغ لما اختار من الموضوعات العلمية من قبل في قلعة أمبواز فحولها إلى خلية تحل للدراسة ودوام مدة خمس سنوات على التدريس والإفاضة والبيان والثبت لإفادة خاصته البالغين نحو 88 فردا وهكذا وجد الأمير عزائه، بين الكتب والعلوم والعبادة، ووضع لنفسه وأتباعه نظاما زمنيا صارما، فأوقاته مضبوطة بدقة وموزعة على هذه الأمور وبذلك لم يشهر بثقل أيام الأسر، واستطاع عبد القادر أن يقرأ السنوسية في التوحيد مثلما كان قرأها أثناء الانشغال بالمعارك الحربية، وقرأ على أصحابه أكثر مدونات الفقه المالكي شهرة بالمغرب على رفاقه صحيح البخاري، وكتاب الشفاء للإمام عياض[1].

وإلى جانب التدريس وحلقات العلم، والقيام بأمر العبادة استطاع الأمير أن يؤلف في هذه الفترة العصبية في سجنه كتابه "المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد".

وقد اعتبر هذا المؤلف أشبه ما يكون بالمنشور السري الثوري ضد دكتاتورية لويس فليب[2] هذا الذي حضر على الناس البوح بآرائهم ولم يعطي حق التصويت إلى أقل من 1 بالمئة وإلى جانب كل هذا نضم الأمير كثيرا من قصائده الشعرية التي جاءت بها نفسه الأسيرة

[1]- محمد السيد الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، مكتبة الملك فيصل، 1984م، ص 53.

[2]- لويس فليب LOUIS PHILIPPE: ولد بباريس سنة 1773م وأصبح ملكا لفرنسا سنة 1830م حتى 1848م، ومات بكليرمونت إنجلترا سنة 1850. ينظر: بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص 152. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق تح محمد العربي الزبيري حاج ، منشورات ANEP، الجزائر، 1982م، ص 240.

وخاصة قصائده في الشكوى والمتين للأهالي إلى جانب بعض المقطوعات أو المساجلات بينه وبين الشيخ الصوفي مُحَمَّد الشاذلي القسنطيني[1].

ذلك أن الحكومة الفرنسية بعد نقله إلى أمبواز نظرت في إحضار مؤنس له في سجنه فأرسلوا إلى الجزائر بذلك ووقع الاختيار على الشاذلي القسنطيني[2].

وعلى هذا النمط سارت حياة الأمير عبد القادر الأسير بأيامها ولياليها وهو لم يزل المقاتل العنيد وكلما حدث من أمره هو أنه استبدل سلاحا ولاقى

كل موقف بما يناسبه من السلوك، وانتقل من سطوة ألإمارة بالجزائر على ضمهم السجن ووحشته وهو على حاله من طلب العلم وإيتائه بكل وسيلة، وأصبح العالم المتفرغ للعلم بعد أن كان العالم المشتغل بالحكم[3].

واستحضرني قول الأمير عبد القادر في نهاية هذا حين قال: حتى اللحظة كنت أظن أن الحكومة المؤقتة تستحل المشكل نهائيا ولكن الظاهر أخطأت فيما

يتعلق بوضع يتساوى الجمهوريون فيه والملكيون، وربما كنت أنت الوحيد الذي يلتقيان فيه بدون خلافات مخاطبا مع دوماس[4].

ز - لقاء الأمير عبد القادر بنابليون الثالث وإطلاق سراحه:

في آخر زيارة دوبوش(dubouch) للأمير عبد القادر، خلف وراءه بصيصا من الأمل لدى الأمير الذي ظل ينتظر ما سيفسر عنه هذا الانقلاب الذي حدث في فرنسا، وقد

---

[1]- مُحَمَّد الشاذلي القسنطيني: من مواليد 1807، تلقى علومه في قسنطينة على يد مشاهير علمائها، عين في وضيفة قاضي مالكي بمساعدة بواسوني في قسنطينة وضل فيها 20 سنة تولى غدارة مدرسة سيدي الكتافي منذ تأسيسها 1887 قام بثلاث رحلات إلى فرنسا وبلجيكا وإنجلترا كان هدفها مؤانسة الأمير عبد القادر أثناء سجنه بفرنسا وتعددت الدراسات والمساجلات بينهما (الشعرية). وعاد إلى قسنطينة في صيف 1850م. ينظر: كتاب أبو قاسم سعد الله، مُحَمَّد الشاذلي القسنطيني، 1807م-1877م، دراسة من خلال رسائله وشعره، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص ص8-69.

[2]- البيطار عبد الرزاق، حلية البشر، ج 2، المصدر اسابق، ص 1303.

[3]- مُحَمَّد السيد الوزير، المرجع السابق، ص 73.

[4] -zoumoroff.DP cit, p 410.

أسفر في النهاية عن تحكم نابليون في زمام الأمور السياسية في الدولة وأصبح سيد قراراته لذلك قرر إعادة فتح ملف الأمير، رغم تحذيرات بعض الجنرالات أمثال سانت آرنو، إلا أن نابليون كان قد اتخذ قراره النهائي لإعادة النظر في قضية الشرف الفرنسي وحرية الأمير عبد القادر[1].

توجه الإمبراطور لزيارة أقاليم فرنسا وعندما وصل إلى مدينة بلوه (blois) أرسل إلى بواسوني للاستعداد من أجل استقبال الرئيس في قصر أبواز، وعلى إثر وصوله إلى محطة أمبواز كان في انتظاره بواسيني الذي تحدث طويلا مع الرئيس ثم توجه الوفد الرئاسي إلى وتخليصها من سخرية أوربا، ومما قاله الإمبراطور للأمير: "إنني قادم لأعلن لك حريتك... وأشعر أن الشرف يقتضي أن أضع حدا لسجنك وأن أعتمد تمام الاعتماد على كلمتك"

وأصبحت بذلك فوق كل الاعتبارات[2]، ورد الأمير بقوله "الآخرون قهروني ورموني في السجن، أما أنت فالوحيد الذي انتصر علي..."[3].

وأثناء حديثهما في مكان الاستراحة المعد لهم، حتى أقبلت والدة الأمير المسنة منحنية على عصى تساعدها على نقل خطواتها نحو الإمبراطور الذي قال: أكرر أسفي على السنين التي قضيتموها مرغمين في سجنكم هذا، والآن يشرفني التعرف على عدو شريف وضيف كريم أقدر دفاعه عن وطنه ورفضه قتال أبناء دينه، ثم قدم له سيفا منقوشا عليه اسم نابليون الثالث وتاريخ المقابلة.

لنتصور معا فرحة الأمير عبد القادر وسعادته التي لا توصف، فقد تمكن أخيرا وبعد صبر طويل دام خمس سنوات من العذاب دون الحصول على أدنى حقوقه قداسة وهي الحرية التي طالما افتقدها، وخصوصا لعائلته والنساء والأطفال المتبقين والذين كانوا بأمس الحاجة

---

[1]- هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 265.

[2]- بن السبع عبد الرزاق، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، المرجع السابق، ص 53.

[3]- مُحَمَّد كامل حسن المحامي، عظماء الإسلام الأمير عبد القادر الجزائري، د .ط، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ص 103.

لحريتهم، وخلال هذه الزيارة تعرف الإمبراطور على كل عائلة الأمير وقد شكروه على نبل أخلاقه وعلى وفائه بالتزام الحكومة السابقة معهم.

قام الأمير بعديد الجولات في باريس ووجهت له دعوات من الوجهاء والعلماء وقام بزيارة الكنائس والأماكن المهمة ووقف على المرض والجنود، وزار قبر نابليون بونابرت ومتحف المدفعية والمطبعة[1] وصرح بعد زيارته "رأيت البارحة صناعة المدافع التي تهدم بها الحصون والقلاع، وفي هذا اليوم رأيت الحروف التي تغلب بها أسر الملوك وتخرب دولهم"[2].

وفي اليوم الثاني دعي الأمير لحضور حفل رسمي يليق بمقامه في قصر "سان كلو" في بيت الرئيس نابليون بونابرت، وذهل بحضور أوجين دوماس وفور انتهاء المراسيم ألقى الأمير كلمة من بين ما جاء فيها: ...الحمد لله وحده الى صاحب المعالي الرئيس حفظه الله ورعاه وسدد خطاه ... الآخرون قطعوا وعودا ولم ينفذوها، وسموكم نفذتم وعودا لم تصدر عنكم وبفضل أريحيتكم سأتمكن من الذهاب حيا في بلد مسلم إن الكلمات تنتشر كالريح، لكن الوثائق المكتوبة تبقى فأقدم لسموكم هذه الوثيقة التي تتضمن عهدا مكتوبا بألا أعود إلى الجزائر[3]... فرد نابليون "...الوثيقة اقبلها ... وهذا التعبير التلقائي عن عواطفك يبرهن لي أنني كنت على حق عندما أوليتك ثقة بدون حدود..."[4].

هنا نلتمس أن الأمير عبد القادر هو أهل لكل ثقة وضعت فيه والدليل على هذا، أن الأمير قدم وعدا لنابليون الثالث رئيس فرنسا بعدم عودته الى الجزائر رغم أن الرئيس لم يطلب منه ذلك، لكن الرئيس لم يعلم سبب فعل الامير لهذا العمل وانه إذا أكرمت الكريم ملكته وإذا أكرمت اللئيم تمرد. ورغم ان الأمير ذاهب الى تركيا وبقاء عقدة اللغة الى أن الاسلام يؤاخي وهو الأهم بالنسبة للأمير عبد القادر.

---

[1]- هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 268.

[2]- بسام العسلي، المرجع السابق، ص 159.

[3]- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج 2، المصدر السابق، ص 44.

[4]- برونو أتين، المصدر السابق، ص 268.

ن - انتقال الأمير عبد القادر إلى تركيا (1853–1855):

ن - 1/ الأمير عبد القادر في ضيافة السلطان العثماني:

صدرت الأوامر بالإفراج عن الأمير ورحيله إلى القسنطينية[1]، فسافر في أول ربيع (1852/12/21م) بأهله ومن معه من أبزاز إلى الأستانة، على ظهر سفينة لابراجدور (labradjr) ووصلها يوم 09 جانفي 1853م[2]، وكان لا يمر في طريقه على بلدة إلا ويتلقاه أهلها بالفرح والسرور والتعظيم لما سمعوه عن جهاده وقوة صبره وعزيمته[3] وعند وصوله إلى الأساتذة قابل الصدر ألأعظم رشيد باشا وشيخ الإسلام العلامة عارف حكمة بك[4] ثم توجه إلى جامع طوبخانة (Tophane) وقام بزيارة معظم الأماكن والمعالم المعروفة، فزار ضريح أبي أيوب الأنصار الصحابي الجليل وقد كان ملهما بسيرته، وقبر صلاح الدين الأيوبي، وعدة معالم أخرى[5] وأقيمت له بعد ذلك حفلات استقبال من طرف السفير الفرنسي أين دعيت إليها، الشخصيات البارزة للجاليات الإفرنجية[6].

توجه الأمير إلى القصر السلطاني ونزل ضيفا على السلطان عبد المجيد[7] الذي استقبله بكل ترحاب ورحب به الولاة العثمانيين أينما حل.

---

[1]– القسطنطينة: هي مدينة تقع في شمال غرب تركيا في التقاطع بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، كانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، احتلها العثمانيون في 1453م، وأصبحت تدين بالإسلام وأطلق عليها اسم اسطنبول.

[2]– يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح المسلح، المرجع السابق، ص 66.

[3]– البيطار، حلية النشر...، ج 2، المصدر السابق، ص 894.

[4]– محمد مراد بركان، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، المرجع السابق، ص 25.

[5]– محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر ...، ج 2، المصدر السابق، ص 53.

[6]– هنري تشرشل، مصدر سابق، ص 272.

[7]– السلطان عبد المجيد: ولد سنة 1822م، استلم السلطة (ثرموت ولد سنة 1839م، اقترن اسمه بحركة التنظيمات العثمانية وكانت بداية عهده بالاضطرابات بسبب انتصار جيوش محمد على خديوي مصدر عليه توفي 1862م. ينظر: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، التحق العلمية في تاريخ الدولة العلية، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية للطبع والنشر والتوزيع، بيروت،1988م، ص 213.

وتقدم الأمير إليه بقصيدة معبرة عن شكره واعتزازه بالدولة العثمانية التي وجد فيها الملجأ والمأوى[1] ومدح في الأخير السلطان بقصيدة طويلة منها:[2]

الحمد لله تعظيما وإجلالا ما أقبل اليسر بعد العسر إقبالا

والشكر لله إذ لم ينصرم أجلي حتى وصلت بأهل الدين إيصالا

وما أتت نفحات الخير ناشحة من المكارم أنواعا وأشكالا

وامتد عمري الى ان نلت من سندي خليفة الله أوفياء وإضلالا

فالله أكرمني حقا وأسعدني وحط عني أوزارا وأثقالا

من خلال دراستنا وجدنا أن العديد من الكتب ترى في استقبال الأمير في القسطنطينية كان باردا وليس في مستوى الكتابات التي ذكرت الحدث وقالت عنه انه كان عظيم ويليق بالملوك وبأن معظم .... والوجهاء الأتراك كانوا غير مبالين بوجود الأمير في المنطقة، رغم الأصداء التي أحدثها مجيئه، وانتقاله نحو الشرق وقد أسند عدم الاهتمام إلى سببين: كان أولها نظرة استعلاء التي اتصف بها الأتراك منذ البداية والتي لاحظها وأحسن بها السكان المنطوين تحت لواء الدولة العثمانية، السبب الثاني: أعاده البعض إلى تخوف وحسد العلماء وأصحاب المراكز المرموقة من المكانة التي يمكن للأمير أن يحصل عليها عند عامة الناس أو حتى عند السلطان نفسه، نظرا لعلمه الغزير وفكرة الكبير.

وخلاصة القول: أن العلاقات التي جمعت بين الأمير عبدالقادر والعثمانيين أثناء إقامته في الأستاذة كانت مقبولة، إذ لا يمكن أن نجزم بسوئها خاصة إذا رأينا أن العلماء والفقهاء قد التفوا حول الأمير واستفادوا من علومه ومعارفه الكثيرة، وابنه مُحَمَّد من خلال كتابه: تحفة الزائر... " لم يذكر شيئا عن المعاملة السيئة، التي لقيها والده أثناء تواجده بالاستانة ولو كانت كذلك لذكرها ابنه في كتابه وتغاضى عنها.

[1]- نصر الدين السيعيدوني، المرجع السابق، ص 173.

[2]- نزار أباضة، المرجع السابق، ص 13.

ن - 2/ استقرار الأمير عبد القادر في بروسة:

انقضت عشرة أيام في الاستانة، كانت حافلة بالزيارات تبادل فيها التحيات والأشعار ليغادرها إلى بروسة[1] حيث استقبله خليل باشا صهر السلطان بغاية التبجيل وأنزله منزلا كريما، ولما نظر الأمير إلى موقع المدينة ألفها شبيهة بمدينة تلمسان، فجاشت كومن الشعر لديه وأنشد قائلا:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها[2]

وقد اهتمم الأمير بكل ما يتعلق بالسكن والاستقرار لعائلته وأتباعه رغم المراقبة التي فرضت من طرف الحكومة الفرنسية[3]، كان صهر السلطان ووالي بروسة في استقبال الأمير ومن معه من المهاجرين، كما استقبله أعيان البلد ورجالها المرموقون وتوجهوا نحو الأمكنة التي أعدت لهم بالأمر السلطاني في بروسة[4].

انتظمت حياة الأمير وأقبل على العبادة والعلم، وإفادة الناس ورعاية الأهل فعبر عن سعادته لوجوده في بروسة بقصيدة " على محال بلده غيرها أرى[5] بعد مرور أيام من استقراره جاءه خليل باشا بأمر من السلطان المعظم، يخبره مراد الدولة العلية أي تعين له معاشا كيفية مع الاتساع، لكن الأمير اعتذر لأن الإمبراطور عين له ما يكفيه ويكفي من معه[6]. وبعد أن استقر المقام بالأمير انظم إليه مجموعة من أصدقائه ورفاقه منهم الحاج عبد القادر بوكيخة والعلامة

---

[1]- بروسة: مدينة صغيرة في غربي تركيا، فتحها اورخان بن عثمان سنة 1326م اتخذها العثمانيون عاصمة (1826م-1865م) بعد فتح القسطنطينية تنتشر فيها أضرحة السلاطين، أصبحت عاصمة للإمبراطورية، ينظر: البيطار، حلية البشر، المصدر السابق، ص 896.

[2]- الأمير عبدالقادر، ديوان الشاعر الأمير عبدالقادر، تحقيق وتقديم العربي دحو، منشورات تالة، ك2، 2007م، ص 155.

[3]- برونو اتين، المرجع السابق، ص 278.

[4]- مُحَمَّد على الصلابي، المرجع السابق، ص 278.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 174.

[6]- البيطار، المرجع السابق، ص 896.

الحاج مُحَمَّد الخروبي القليعي والعالم قدور بن رويلة وغيرهم وكان هؤلاء جميعا أسرى أطلق سراحهم بعد استقرار الأمير في المشرق فوجدوا لديه الملاذ والحمى، وأمر ببناء دور لسكناهم[1].

شغل الأمير وقته بالقراءة في الجامع والدراسة والعبادة[2]، كما أنه ألف في هذه الفترة من إقامته ببروسة رسالته المعروفة باسم "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل"[3]، وكان يكثر من الصدقات ويكرم المحتاجين فأخذ العلماء وأصحاب الحاجة يقصدونه من كافة بلاد العالم الإسلامي، ورغم وجوده بأرض إسلامية إلى أن الأسى والمرارة ضلا يلاحقانه بفقدانه بلاده، وتبقى بروسة أرضا غريبة عنه لاختلاف في اللغة والعادات إلى جانب المراقبة الفرنسية المتواصلة، ونتيجة إلى الأعمال الدينية التي كان يقوم بها في بروسة، والجولات بالمساجد والمدارس لتقديم الدروس ومناقشة مع بعض المسلمين حتى الوجهاء والموظفون العثمانيون من نفوذه بالمنطقة لاسيما منها طبقة الأفندية، ونتيجة إلى عدم تناسب مستواه الفكري مع الواقع العثماني لم يستطع الأمير عبد القادر والتكيف مع هذا الواقع البعيد عن تأملاته، لذا فضل الذهاب إلى مدينة دمشق التي تناسب معه في اللغة ويستطيع خلالها التكيف مع واقعه الذكري والثقافي، حيتها كتب للسفارة الفرنسية عن رغبته للتوجه إلى بلاد الشام، فكان له ذلك في 26 ديسمبر 1855م[4].

1855م[4].

[1]- مُحَمَّد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 278.

[2]- شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 275.

[3]- فؤاد صالح السيد، مرجع سابق، ص 86.

[4] -Bruno, ETIENNE, Op,cit, PP,279,281.

الفصل الثالث:

III ـ إسهامات الأمير عبد القادر السياسية والاجتماعية، الدينية والعلمية في بلاد الشام.

أ ـ وصول الأمير عبد القادر إلى دمشق.

ب ـ نشاط الأمير عبد القادر الديني و العلمي في بلاد الشام.

ج ـ اوضاع بلاد الشام ووصول الفتنة الى دمشق 1860م.

ج ـ 1/ وضع الطوائف في بلاد الشام.

ج ـ 2/ الأسباب العامة التي أدت إلى ظهور الفتنة.

ج ـ 3/ فتنة دمشق 1860م.

د ـ دور الأمير عبد القادر السياسي والاجتماعي في بلاد الشام.

د ـ 1/ الأمير عبد القادر ومحاولاته أثناء الفتنة.

د ـ 2/ دور الأمير في حماية المسيحيين أثناء الفتنة.

هـ ـ ردود فعل تدخل الأمير عبد القادر في الفتنة.

و ـ وفاة الأمير عبد القادر.

لم يمضي على الامير عبد القادر يوم إلا كان فيه ذو فائدة عظيمة لنفسه ولأهله ولأصحابه ولدمشق وبلاد الشام حتى للمسلمين والمسيحيين وغيرهم، فقد كان سراجا ينير الحق والعدل أينما ذهب متسلحا بثقافته وعلمه والأساس الأول هو دينه الذي كان يشبه في تقليده للرسول ﷺ الى حد بعيد وذلك راجع الى كثرة تدينه وزهده أما الحنكة السياسية قد اكتسبها أثناء رحلاته بعبقريته الفذة وطبقها في الجزائر وفي منفاه ولما نقل الى بلاد الشام، وفي التعامل مع الملوك والأمراء والقادة ،وكان يقود مبادئه العلمية والثقافية والسياسية والاجتماعية والانسانية تحت راية الدين والدفاع عن الحق، وهذا ما سنلاحظه في تفصيلات مباحث أو مطالب هذا الفصل.

أ ـ وصول الأمير عبد القادر إلى دمشق:

عندما وصل الأمير عبد القادر إلى بيروت في 24 نوفمبر 1856 استقبله السكان هناك بحفاوة كبير[1] واصطف الناس برئاسة والي بيروت "نامق باشا" لرؤيته وخاصة من طرف أعيان الطائفة الدرزية بجبل لبنان وطلبوا منه الإقامة عندهم. فاعتذر لهم وشكر صنيعهم وأقبلوا عليه بعبارات المدح وإنشاء الشعر لاستقباله وفرحهم به.[2]

استقبل الأمير عبد القادر من قبل الدمشقيين استقبال الفاتحين فقد خرج الكل لملاقاته وكان الاستقبال شعبيا رسميا، كيف لا وقد سبقت الأمير عبد القادر شهرته إلى المدينة.

[1] – شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 352.

[2] – الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، المصدر السابق، ص 13.

وكان على رأس مستقبليه والي دمشق " ومر الأمير عبد القادر كأنه فاتح وسط الزحام مسبوقا بفرقة عسكرية تركية وجوقة للموسيقى العسكرية وكان يرد بسرور على عبارات التحايا والترحاب .. إنه لم يدخل دمشق عربي على هذا النحو منذ صلاح الدين الأيوبي".[1]

وقد خصص له والي دمشق استقبالا مميزا، وخرجت الجموع لملاقاته عند الزبداني، ودخل المدينة وكأنه قائد مظفر ونزل في قصر السراي القديم، ويورد صاحب تحفة الزائر تفاصيل الدار التي أقام بها الأمير في دمشق ومدى العناية التي أولتها الدولة العلية لتهيئة الظروف الحسنة لإقامته، ولا شك أن هذه الحفاوة التي لقيها الأمير ببلاد الشام هي إرهاصات على المكانة التي سيتبوئها في المنطقة.[2]

إن هذه الحفاوة الشعبية الكبيرة كانت تعبيرا عفويا عن اعتزاز الجماهير بالقيم العظيمة التي جسدها الأمير، ومن اللافت للنظر أن تكون هذه الحفاوة لدى أعدائه وأوليائه على سواء، فقد جسد في نظر كل منهما مفهوم الفارس النبيل الشهم، وفروسيته هي التي جعلته يفترق عن خصم مثل بيجو(bugeaud)كان يسعى إلى الوصول إلى النصر بأي ثمن، فيتسلى بقطع الرؤوس، وصم الآذان، وحرق الذروع، وإبادة الضعفاء في ملاجئهم، ومن أجل هذا فإن الفرنسيين الذين أحرز لهم الماريشال هذا النصر، لم يحتفوا به احتفاءهم بالأمير عبد القادر.[3]

أما العرب المسلمون فقد رأوا الأمير من جهاده أملا يعيد إلى النفوس بعض الثقة في استعادة الأمة لمواقفها المشرقة والطرق من خلال ذلك على أبواب عصر النهضة. وينتفض من سبات قرون الضعف والاستكانة، ورأوا فيه أملا آخر في إمكانية تحقيق وجود للذات العربية الإسلامية مه تمسكها بقيمها وعدم التفريط بها.

---

[1] – شارل هنري تشرشل، نفسه، ص 277.

[2] – مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 278.

[3] – أحمد درويش، في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص181.

وقد أعطت هذه البيعة بالإمارة الشعبية للأمير عبد القادر رصيدا كبيرا ارتكن إليه وهو يتخذ قرارات أخرى صعبة، ومواقف صلبة أهلته ليكون شخصية عالمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بكل المقاييس، ولا شك أن من أشهرها موقفه المشرف من أزمة المسيحيين في سوريا سنة 1860 م.[1]

ب ـ نشاط الأمير عبد القادر الديني و العلمي في بلاد الشام:

عندما استقر الأمير بدمشق اهتم بالجانب العلمي، كما أنه كان مركز اهتمام العلماء حيث طلبوا منه أن يكون أستاذهم، وذلك لأنه يتميز بعدة خصائص منها: نسبه الشريف وكذلك أنه عالم من العلماء، وهو أيضا مجاهد في سبيل الله، كان يلقي دروسه في المسجد الأموي. [2]

ويذكر تشرشل أن عدد الطلبة الذين كانوا حوله حوالي ستين طالبا على الأقل، وكان مصدر دروسه هو القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إضافة إلى اعتماده على نصوص الفلسفة من أعمال أفلاطون وأرسطو.[3]

ولم ينحصر نشاطه العلمي في المسجد الأموي فقط، بل كان يدرس في مدرستين هما مدرسة الأشرفية [4] ومدرسة الجمقمقية.[5]

---

[1]- أحمد درويش، المرجع السابق، ص 182.

[2]- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق جوانب من حياته الدينية والفكرية، مجلة الثقافة عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، ع 75، ص 13. منشورات سهل، الجزائر، 1983م، 297.

[3]- شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 278.

[4]- المدرسة الأشرفية: اشتهرت أيضا باسم دار الحديث النبوي، بناها الملك الأشرف موسى بن العادل في دمشق، ومن بين العلماء الذين درسوا فيها ابن كثير، نقلا عن فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص 298.

[5]- المدرسة الجمقمقية: تقع شمالي الجامع الأموي، مؤسسها هو سيف الدين جمقماق، وهي مدرسة حنفية، وأضاف إليها مدرسة للأيتام. ينظر نفسه، ص 298.

في المدرسة الأولى كان يشرح فيها صحيح البخاري، بينما المدرسة الثانية كان يعلق فيها على مؤلفات في علوم القرآن لمؤلفين مصريين تقليديين،[1] قرأ كتاب الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز لأحمد مبارك، كما قرأ في المدرسة الأشرفية سنة 1858م كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي. [2]

وبعد عودته من البقاع المقدسة سنة 1865 كان يقوم بحلقة تعليمية في بيته بعد صلاة الفجر كل اثنين لقراءة الفتوحات المكية لابن عربي.[3]

ومن بين الكتب التي ألفها خلال هذه المرحلة كتاب " المواقف" وكان هذا بفضل تحفيزه من طرف ثلاث علماء والشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ مُحَمَّد خان، الشيخ الطنطاوي، طلبوا منه أن يدون ما يتكلم به في مجالسه.[4]

ولحرص الأمير على العلم ونشره قام بشراء دار في دمشق سماها دار الحديث وأصبح الأمير العالم ينتقل من جامع إلى آخر يشرح ويبين ويعلق، فكان يتردد مرة على المدرسة الجمقمقية وفي المشهد الحسيني والمشهد السفرجلاني وأخرى بالجامع الأموي.[5]

وقد لقي العلماء والنخبة الدمشقية الأمير عبد القادر بـ: (باشا المغاربة) وهو اللقب الذي أطلق عليه هناك، فساهم بشكل كبير بالتعريف بالفكر المغاربي لدى المشارقة.[6] وعمد

---

[1]- برونوا أيتين، المرجع السابق، ص 305.

[2]- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق جوانب من حياته الدينية والفكرية، ص 299.

[3]- برنوا إيتين، المصدر السابق، ص 305.

[4]- نفسه، ص 305.

[5]- أحمد كمال جزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، راجعه وقدمه مُحَمَّد زكي إبراهيم، ط 1، دار العشيرة المحمدية، 1997م، ص 39.

[6]- عبد الرزاق بوطالب، الأمير عبد القادر والأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، د ط المؤسسة الوطنية الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009م، ص 256.

على توطيد العلاقات مع السلطات القائمة في الشام التي ساعدته في شراء ضاحية واسعة جنوبي دمشق.

لعب استقرار الأمير في دمشق دورا كبيرا في تنشيط الحياة في الشام، خاصة الحياة الثقافية والأدبية والعلمية فقد أصبح الأمير قبلة علماء دمشق يسألونه في عدة قضايا استعصت عليهم، ويستشيرونه في كل أمورهم.

وأما ما يحمله الأمير من علوم أفاد ويفيد بها إلى الآن عبر مؤلفاته العديدة منها:

- إجابات الأمير عبد القادر، [1] وهي أسئلة من بعض علماء عصره عن إشكالات بعض عبارات الصوفية والمسائل الدينية.
- رسالة في الحقائق الغيبية: [2]وهي شرح البيتين المشهورين التاليين على المشرب الصوفي:

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين

كلانا ناظر قمر ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

- ورسالة في شرح آيات من القرآن الكريم على الطريقة الصوفية كرسالته الشهيرة في شرح صورة التكوير.[3]
- المواقف الروحية والفيوضات السبوحية:[4] وهو أشهر كتبه فسّر به بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تفسيرا مزجه بالفقه والتاريخ، وكان يلقي مواعظه في مجالسه الخاص، وقد سجل الأمير كتب عديدة منها:

---

[1]- منها نسخة خطية في الظاهرية مغربي رقمها 11419 في 15 ورقة.

[2]- منها نسختان خطيتان في الظاهرية برقم 245 في ورقتين، ورقم 8430 في ورقتين أيضا، وطبعت هذه الرسالة في كتاب المواقف 2/315-318.

[3]- منها نسخة مخطوطة في الظاهرية برقم 245 في ثلاث ورقات نسخت سنة 1292 هـ

[4]- منه ست نسخ محفوظة في الظاهرية، الأولى في ثلاث مجلدات الأول برقم 9236 والثاني برقم 9264، والثالث برقم 9265... نقلا عن نزار أباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، المرجع السابق، ص 29.

- تعليقات على حاشية جده (في علم الكلام) الحفيد عبد القادر لجده الأمير عبد القادر.
- الصافنات الجياد (في محاسن الخلي وصفاتها).
- ذكرى العاقل وتنبيه الجاهل أو الغافل، كتاب في الأخلاق والشريعة.
- المقراض الحاد لقطع لسان أهل الباطل والإلحاد.

وله منظومات واشعار عديدة منها:

- القصيدة التي مدح فيها شيخه الفاسي بمكة المكرمة.
- قصيدتان على لسان أهل الله.
- ديوان شعر (وفيه قصائد متنوعة المعاني).

ومن بين شعره الذي يمتدح فيه الطبيعة الخلابة الموجودة في دمر:

عج بي فديتك في أباطح دمر ذات الرياض الزاهرات النضر

ذات المياه الجاريات على الصفا فكأنها من ماء الكوثر

ذات الجداول كالأراقم جريها سبحانه من خالق ومصور

ذات النسيم الطيب العطر الذي يغنيك عن زبد ومسك إذفر

والطير في أدواحها مترنم برنيم صوت فاق نغمة مزمر

مغني به النساك يزكو حالها ما بين أذكار وبين تفكر

أين الرصافة والسدير وشعب بو إن إذا أنصفتني م دمر [1]

[1]- أحمد دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 24.

وقد كان الأمير عكفا على شهور صلاة الجماعة في أوقاتها يلازم صلاة الفجر في المسجد القريب من داره بحي العمارة (زقاق النقيب) لا يتخلف إلا لعذر شرعي، كثير التهجد والخلوات، كثير الصدقات، بر العلماء والصالحين والفقراء برواتب شهرية، وينتصب لقضاء حوائج العباد، عاملا بتقوى الله في السر والعلن، يصوم شهر رمضان ويعتزل خلاله الناس كلهم، وكانت له خلوة يتحدث فيها بقصره في دمر.[1]

كان للأمير عبد القادر مواقف إنسانية ذكر بعضها وخاصة في حادثة الستين وكان معظما عند ملوك البلاد الأوربية وكانوا يطلبون صورته ويرغبون ان يكتب عليها بخطه فكان يكتب أحيانا هذه الأبيات:[2]

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري فليس يريك النظم صورتنا العظمى

فثم وراء الرسم شخص محبب له همة تعلو بأخمصها النجما

وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره ولكنه بالفضل والخلق الأسمى

وإن جمعت للمرء هذي وهذه فذاك الذي لا ينبغي بعده نعما

وكان الناس يلجؤون إليه في حل مشكلاتهم وخصوماتهم فيصلح بينهم ويرتضون احكامه، وكان يعطي من ماله إذا ما تبين له عجز الذي يحكم عليه عن الأداء، وكان يهب الشباب مهورا للزواج، وقد يتوسط الأهالي لديه للعفو عن المحكومين فما كان يرد الرجاء إذا جاءه من يكفل المحكوم ويضمن توبته فكان مسموع الكلمة لا يرد الولاة له طلبا، ويتقربون إليه بتقييد ما

[1]- نزار اباضة، المرجع السابق، ص 30.

[2]- نفسه، ص 31.

يشير به، واعتاد الفقراء أن يقصدوه لتجهيز موتاهم، وعين مخصصات للفقراء تعطى إليهم أيام الجمعة، ومنها الخبز الذي يوزع على مئات الأسر المعدمة طوال شهر رمضان.[1]

وبعد أن عاش الأمير 4 سنوات في دمشق من سلام وفي حقيقة، فإنه كانت تحدث بعض الاضطرابات من حين لآخر بين شتى الطوائف في الشام قد حذر الأمير منها في مجالسه العلمية، فقد لعب الأمير دورا بازا في إخماد نار الفتنة قبل وقوعها وبعده من خلال وقوفه بكل شهامة لحماية المسيحيين الشام.

ج ـ اوضاع بلاد الشام ووصول الفتنة الى دمشق 1860م:

ج ـ 1/ وضع الطوائف في بلاد الشام.

تتميز بلاد الشام بتنوع الطوائف واختلاف المذاهب وتباين العقائد، ففيها الأغلبية المسلمة السنية، وفيها الشيعة والمسيحية التابعة لكنيسة روما من اليونان الأرثوذكس والأرمن واليعقوبيين والبروتستانت ثم الأقلية اليهودية، وقد كان للموارنة الكاثوليك وضع خاص لارتباطهم بكنيسة روما مباشرة ولصلاتهم المتميزة مع دولة فرنسا، والعدد الأكبر من هذه الطوائف يتركز في جبل لبنان.

وفي فترة حكم مُحَمَّد علي للشام في الأربعينيات من القرن التاسع عشر، قام ابنه إبراهيم باشا باعتماد أسلوب إداري يقوم على مبدأ المساواة بين الطوائف في المعاملات، الأمر الذي أخل بالتوازن المتوارث، وأضر بالامتيازات الاقتصادية والاجتماعية التي حققتها بعض الفئات على حساب الأخرى، فكان ذلك تمهيدا لتعاون بعض الطوائف مع الدول الأوربية مباشرة والتزود منها بالسلاح وبالمال دون اعتبار لمصالح لدولة العثمانية وسيادتها، فسمح للإنجليز بالاتصال

[1]- مُحَمَّد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر، المصدر السابق، ج2، ص 91.

بطائفة الدروز،[1] بينما ساندت فرنسا الطائفة المارونية، [2] وشجعتها على الوقوف ضد من يلمس مصالحها، مما هيء الظروف لبداية حدوث اضطرابات بعد ذلك بين طائفتي الدروز والموارنة منذ عام 1845م، وبعد أن أصدر السلطان عبد الحميد عام 1856 م مراسيم

عرفت بالخط الهمايوني، الذي أقر نهائيا المساواة بين أفراد مختلف الملل والطوائف والأديان على أحوالهم الشخصية.[3]

أصبحت الأوضاع في مجمل بلاد الشام وخاصة مع حلول عام 1857 م تنذر بانفجار خطير، بدأت شراراته بعدما استولى فلاحون موارنة في شمال جبل لبنان على أراضي الإقطاعيين وامتنع موارنة الجنوب عن دفع الإيجارات إلى الملاك من الدروز واشتعلت الفتنة الطائفية في بلاد الشام في شهر جوان عام 1860م، واعتدى بعض الموارنة على الدروز[4]والغوغاء من الناس بإيعاز من بعض أشباه المشايخ وكبار القوم الذين يظنون أن أصل دين الإسلام الغلظة والقسوة والبلادة والجفوة، حجتهم في ذلك تجبر النصارى[5] وتكبرهم وتجاوزهم حدهم وخروجهم عن العهود الذمية وتعلقهم بالدول الأجنبية، فراحوا يأخذون في كل حدب وصوب الثأر بالحرق والقتل والسلب ونهب الأهالي المسيحيين والراهبات المبعوثين الفرانساويين في جبل لبنان

---

[1]- الدروز: فرقة إسلامية في سوريا ولبنان نسبة إلى الداعية الفاطمي مُحَمَّد بن إسماعيل الدرزي المتوفى 1019م من الطوائف الباطنية التي انشقت عن الإسماعيلية، تقيم في مناطق مختلفة من بلاد الشام منهم من يقيمون في بلاد الشوف بلبنان وقسم يقيم بجبل الدروز بسوريا وهناك من يقيم في شمال فلسطين، ينظر: عبد الرحمن بدوي، الدروز فصل من كتاب مذهب الإسلاميين، م2، ط1، بيروت 1973م، ص 508 وما بعدها.

[2]- الموارنة: مجموعة دينية تقطن في سواحل بلاد الشام ولبنان وتقع الكنية المارونية، تعود تسميتهم لمارون الراهب السرياني الذي عاش في شمال سوريا في القرن الرابع ميلادي، وانتقل لاحقا وأتباعه إلى جبل لبناني ليقترن اسمهم به خلال الفرن 10م. ينظر: يوسف الدبس، الجامع المفصل في تاريخ الموصل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1905م، ص 41.

[3]- مُحَمَّد علي الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 337.

[4]- يحي بوعزيز، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة ط خ، الجزائر، 2009م، ص53.

[5]- مُحَمَّد بن الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 93.

وطرابلس وصيدا ودير القمر واللاذقية وغيرها، وعاثوا في الأرض فسادا وفسقوا واعتدوا على البنين والبنات وخربوا القرى والمدن وسفكوا الدماء ونهبوا الأموال ومالوا عليهم كل الميل وبادرت لمساعدتهم والغنيمة معهم فرسان دروز الجبل الشرقي، تذبح النصارى ذبح الأغنام وتتعدى على الأموال والأولاد ودام هذا الأمر إلى غاير عيد الأضحى في شهر جويلية من عام 1860م ولما هرب كثير من النصارى إلى دمشق، ظانين أن الحكومة ستحميهم من بطش الدروز، تغاضت الحكومة في بداية الأمر. فزاد التهديد والتنكيل بمن فر أو سكن في دمشق. [1]

ج ـ 2/ الأسباب العامة التي أدت إلى ظهور الفتنة:

مجازر الستين في لبنان 1860م، هي صراع شب في ربوع سوريا ولبنان، قامت بين الموارنة من جهة والمسلمين والدروز من جهة أخرى، بدأ هذا الصراع بعد سلسلة من الاضطرابات بين الطائفتين، والتي أذت فيا بعد إلى ارتكاب مجازر دموية عنيفة في حق شعوبها لدرجة أن هذه المجازر استمرت في عيون أهالي جبل لبنان [2] في فترة حكم "مُحَمَّد علي باشا" للشام في الأربعينيات من القرن التاسع عشر ميلادي قام ابنه إبراهيم باشا [3] باعتماد أسلوب إداري يقوم على مبدأ المساواة بين الطوائف في المعاملات والشدة في اتخاذ القوانين. والتقليد الأعمى للغرب في كل أمر، هذا ما أخل بالتوازن المتوارث وأضر بالامتيازات والمكتسبات الاقتصادية

[1]- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، د.ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإيداع الشعري، السعودية،2000، ص 58.

[2]- جبل لبنان: تمتد سلسلة جبل لبنان من الشمال الشرقي في أواسط سورية إلى الجنوب الغربي وطولها 145 كم، وعرضها 45 كم ومساحة الجبل كله تبلغ 6500كم [2] وحدوده فشمالا يحده متصرفية طرابلس ومن الشرق أقضية بعلبك وراشيا وحاصيا، ومن الجنوب فضاء صيدا، ومن الغرب بيروت، وشاطئ البحر، ينظر: مُحَمَّد علي باشا، الرحلة الشامية.

[3]- إبراهيم باشا: من مواليد 1204هـ /1788م، في ميناء صغير جنوب مقدونيا باليونان، وهي مسقط رأس مُحَمَّد علي باشا وهو الابن الأكبر لوالي مصر كان يظهر عواطفه نحو العرب في الشام، ويعتبر نفسه عربيا، ويذكر أنه جاء مصر صبيا وكان ميالا للأعمال الحربية كان صارم المعاملة وصعب المراس، ينظر: رنيه قطاوي وجورج قطاوي، مُحَمَّد علي واوروبا،، نقله عن اللغة الفرنسية: ألفريد يلوز، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، مصر، 1952، ص72.

والاجتماعية التي حققها البعض على حساب البعض الآخر، وجعل من أهالي سوريا من المسلمين يتخوفون من إدارة "مُحَمَّد علي" ويتحولون بعواطفهم إلى السلطان العثماني والمتعاونين مع إنجلترا، على إثارة الفتن ضد حكم "إبراهيم باشا" وكان ذلك تمهيدا لتعاون بعض الطوائف فيما بعد مع الدول الأوربية مباشرة وهذا ما سمح للإنجليز بالاتصال بطائفة الدروز وتشجيعها على الثورة ضد "مُحَمَّد علي"، بينما ساندت فرنسا الطائفة المارونية، وشجعتها على الوقوف ضد من يمس بمصالحها، وهذا ما هيّأ الظروف لحدوث اضطرابات وحروب أهلية، بعد انسحاب الإدارة المصرية من الشام عام 1841م. [1]

يذكر أحمد طربين ملخصا لأسباب الفتنة إلى نقاط منها:

أولها: الدسائس الفرنسية الإكليرية،[2] للانفراد بحكم الجبل والاستثمار بخيراته وأراضيه، فما كان يهم فرنسا هي إحداث القلاقل في جبل لبنان لتتيح لها فرصة إرسال حملة عسكرية بحجة حماية النصارى، كما يضيف قائلا أن عملاء فرنسا لم يقتصروا على تحريض الكاثوليك للوثب على الدروز فحسب، بل إنهم أوحوا في الوقت نفسه على بعض النصارى من آل العماد وحرضوهم على العدوان لتحدث في الجبل فتنة تستوجب تدخل فرنسا، فتبسط نفوذها في بلاد الشام، خاصة بعد انسحابها من اتفاقية 1840م.[3]

[1]- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، المرجع السابق، ص81.

[2]- هي مدرسة تعلم وتفقهن تربي الفتيان للارتقاء إلى الكهنوت والإلكيريوس والرعية كالشمامسة والكهنة والأساقفة، نقلا عن حرشوش كريمة، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه، الأمير عبد القادر وإسهاماته في النهضة العربية بالجزائر وبلاد الشام 1832-1860، إشراف حمدادوا بن عمر 2017-2018، ص233.

[3]- هذه الاتفاقية تمت بين إنجلترا وروسيا والنمسا بعد انسحاب فرنسا منها، مع الدولة العثمانية للحد من توسعات مُحَمَّد علي باشا حاكم مصر، على حساب أراضي الدولة العثمانية كانت السبب في تقليص صلاحياتها: مذكرة دكتوراه للأستاذة حرشوش كريمة، المرجع نفسه، ص233.

ثانيا: بريطانيا، يذكر أن ممن شارك في مسؤولية حوادث الستين هم العملاء البريطانيون، الذين رأوا أن مصلحة حكومتهم تعتمد على مساندة الدروز وقد تحدث النائب " المستر مونسل" (mister moncel) بأنه وضح له من التدقيق في تاريخ العشرين سنة الأخيرة أن إنجلترا هي سبب ما جري في سورية، وذلك بسعيها لإبدال هيئة الحكم في الجبل (الشهابيين) نكاية بفرنسا ومعارضة لبعض الدول في أوروبا.

ثالثا: عجز الاستقراطية المارونية عن قمع ثورة الفلاحين في كسروان، وخشية الاستقراطية الدرزية من انتشار واتساع عدواها من جهة، وتضائل سيطرت الاكليريوس على مقدرات ثورة كسروان من جهة ثانية، مما جعل هؤلاء يرون ان حقوقهم الاقطاعية القديمة وامتيازاتهم أوشكت على الزوال، فالقوا آخر ورقة بيدهم لإنقاذ مصالحهم المهددة، وايقظوا نار الفتنة الطائفية بين صفوف الفلاحين[1].

أما المؤرخة ليندا شيلشر فقد عرضت بعض التفسيرات عن أسباب أعمال الشغب كما أسمتها بالرغم م أنها أكدت أن التسليم بهذه التفسيرات تبقى غير كافية من الناحية التاريخية، لأن التفسيرات التي قدمتها تقول باحتمال وجود مؤامرة أدت إلى نشوب الشغب، وتؤكد أيضا على أن هذه الشذرات التي جمعتها ستبقى مقبولة على اختلافها، آملة في صقل ما بين يديها من نظريات لتكون أخرى جديدة بعد التمحيص والتدقيق في الوثائق والدلائل.

ووصلت إلى:"... إن ما لدينا هو انفجار اجتماعي واجتماعي- اقتصادي واجتماعي – نفسي وسياسي- وليست حربا طائفية.." وتستدل بذلك على حقيقتين: أولهما أن جماعة

[1]- أحمد طربين، أزمة الحكم في لبنان، المرجع السابق، ص ص، 119-120.

معينة من المسيحيين فقط قد تعرضت للهجوم، بينما ترك المسيحيون الآخرون بحماية لمسيحيين وتقديم العون لهم.[1]

وبهذا أكدت أنها ليست حربا طائفية، بل نتيجة تراكمات نفسية سياسية، اجتماعية واقتصادية ساهمت في إشعال أعمال الشغب في دمشق.

أما عن كتاب نوادر الزمان "لأبكريوس" فيلحظ فيه أن كل هذه الحروب والفتن نتاج أطماع أوربية، كانت سابقة منذ العقود الستة من القرن التاسع عشر، والتي أطاحت بالدولة العثمانية، فيذكر قائلا: "... تلك هي صورة العصر السياسي خلال العقود الستة من القرن التاسع عشر، والتي أحاطت بالدولة العثمانية وأعاقت خطى الاطلاع التي سار بها السلطان " محمود الثاني" وجاء من بعده ولده عبد المجيد، ثم عبد الحميد الثاني". وسياسة الدولة العثمانية مع الدول الأوربية التي نتج عنها الأطماع الاستعمارية ورغبة البعض من الدول الأوربية القضاء على هذه الدولة. ونتيجة هذه الصراعات وحرب القرم 1853م، قد أظهرها بمظهر الضعف العسكري أمام مجموعة دول أوروبا مما دفع هذه الدول بأن تطمع في أملاكها.[2]

وتزايدت أزمات الدولة العثمانية في العقد الرابع من القرن التاسع عشر بخروج والي مصر " مُحَمَّد علي باشا" على السلطان العثماني واحتلاله لبلاد الشام وبدخوله إليها عمل على إقامة مبدأ التسامح بين الطوائف في البلاد، فقرب النصارى إلى ديوان حكمه وجعل منهم مستشارين في إدارة البلاد، إضافة إلى مساعدة اليهود في فلسطين عل مشروعية التملك والسماح بفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين مما أثار عليه بقية سكان بلاد الشام، وكان وجوده سببا في

[1]- ليندا شلشير، دمشق في القرنين الثامن عشر، تر: عمرو الملاح، دينا لملاح، مراجعة عطاف ماردني، دار الجمهورية، بيتموني وشركائه، ط1، دمشق، 1998م، ص126.

[2]- إسكندر بن يعقوب أبكريوس، نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان، تر: عبد الكريم إبراهيم السمك، رياض الريس للكتاب والنشر، د ط، بريطانيا، 1987م، ص ص ، 44-46.

تكون الطائفية، فقد حارب الدروز، ووقف النصارى معه في حربه ضدهم وخصوصا الموارنة بقيادة " بشير الثاني" أمير لبنان.[1]

وفي العقدين الخامس والسادس صارت الدولة العثمانية وولاياتها فريسة للتدخل الأجنبي المباشر في سياستها، فكانت حوادث جبل لبنان ثمرة طبيعية لهذا التدخل، الذي دفعت شعوب بلاد الشام وأبناء طوائفه دمائهم رخيصة في ظل فتن وحروب لا شأن لهم بها، جرهم إليها صراع الدول الأوربية الاستعمارية، فقد كان صراعا ما بين النصارى أنفسهم " كالكاثوليك والأرثوذوكس والبروتستانت" حيث كان صراع هذه الطوائف يمثل صراع هذه الدول وانتماء هذه الطوائف لها، وحتى الدروز الذين كانوا طرفا في هذه الفتنة، فقد كانوا ميالين إلى إنجلترا، أما المسلمين السنة فقد ذهبوا ضحية الصراع الدولي وتبين أنهم الوحيدون الذين ليس لهم ولاء لأي دولة من الدول وهذا ما وجدناه في جدول أعمال اللجنة الدولية في بيروت حيث وقف الروس

يدافعون عن النصارى الأرثوذكس، والفرنسيون يدافعون عن الموارنة والكاثوليك، والإنجليز عن الدروز والبروتستانت واليهود، بينما كان " فؤاد باشا"[2] يحكم السيف في رقاب المسلمين في دمشق والشام، فأعدم منهم حوالي 375 شخصا، ونفى من خيرة علمائهم حوالي ألف رجل. وجند في الجيش العثماني حوالي 2000 من رجالها، بينما عجز عن إقامة حم من الأحكام على شخص من أبناء الطوائف التي سبق ذكرها بسبب دفاع أعضاء اللجنة الدولية عن حلفائهم من أبناء هذه الطوائف.[3]

---

[1]- إسكندر بن يعقوب أبكاريوس، نوادر الزمان، المصدر السابق، ص ص. 44-46.

[2]- فؤاد باشا: ولد في الأستانة 1230هـ وسلك في عهد أقرانه المسلك العلمي ثم دخل المكتب الطبي الذي أسسه السلطان محمود الثاني وحصل فيه عل العلوم الطبية وعين مترجما للباب العالي سنة 1253 هـ وعين سفيرا مؤقتا لإسبانيا والبرتغال مدة سنتين، وبعد عودته الأستانة عين ترجمان للديوان الهمايوني في 1261. وحصل على رضا عبد المجيد وولاه نظارة الخارجية مكافئة له، ينظر: جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق، المرجع السابق، ص ص، 253-257.

[3]- إسكندر بن يعقوب، المصدر السابق، ص ص، 44-46.

كان الأمير عبد القادر في قصره عالما بوقوع هذه الحوادث وأمثالها، وكان يعلم أنها لاتقف عند هذا الحد، فهو يرى رأي العين مدى تغلغل العداوة والبغضاء في بلاد الشام بين سكانها، من المسلمين ورعاياها من المسيحيين، كما يرى ويعلم مدى تأثير الإنجليز على الطائفة المارونية، وكل واحد من الجهتين يسعى لتحقيق أغراضه الاستعمارية المكشوفة بإيقاع الفتنة بين الطائفتين، حتى تسيل الدماء الغزيرة، وتقع الفوضى، وبذلك تجد الدول الاستعمارية الطامعة مجالا للتدخل العسكري واحتلال البلاد.[1]

لم يبقى الأمير عبد القادر مكتوف اليدين أمام هذه الأوضاع المزرية، وأمام الدسائس الاستعمارية التي واجهها من قبل في بلاد الجزائر، أي أنه أصبح خبيرا بمثل هذه الأوضاع، ولذا سعى جاهدا من أجل تطويق هذه الفتنة والتوفيق بين الطوائف، ومحو ما بينها من أحقاد دفينة ربما رجعت في أصولها إلى الحروب الصليبية القديمة في تلك الأصقاع، لكن القدر شاء أن تعم الفوضى، وتزيد من إشعال نار الفتنة التي راح ضحيتها الكثير من الناس.

ج ـ 3/ فتنة دمشق 1860م:

عاش الأمير عبد القادر في دمشق فترة هدوء واستقرار، كان يمضي وقته في العبادة والقراءة والتدريس وتقديم الأعمال الخيرية، لكن سرعان ما تغيرت أحواله وذلك من حلال ما حدث في سنة 1860م.[2]

[1]- أحمد توفيق المدني، الأمير عبد القادر الجزائري وحوادث سويا المحزنة والدولة العثمانية 1860-1983م، عدد خاص، الجزائر، 1983، ص 7.

[2]- بوعلام بسايح، عبد القادر في دمشق وإنقاذ 12 ألف مسيحي الأمير الإنساني العالمي، ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر وحقوق الانسان، قصر زيغود يوسف، الجزائر، 25 ماي 2008م، ص22.

بدأت شرارة الفتنة في جبل لبنان، حيث كانت بين الدروز والمسيحيين بعدما أقر السلطان عبد المجيد 1856م المساواة بين الطوائف،[1] وكانت المنافسة شديدة بين فرنسا وإنجلترا، فرنسا تدعم الدروز والأخرى تدعم المسيحيين.[2]

حاول الأمير عبد القادر أن يوقف الفتنة قبل أن تأتي إلى دمشق فقام بمراسلة شيوخ الدروز وحذرهم من هذه الفتنة،[3] ولكن كل هذه الجهود فشلت لأن والي دمشق أحمد باشا لم يحرك ساكنا، وانتقلت هذه الفتنة إلى دمشق حيث أخذ الأطفال يوم 8 جويلية يرسمون الصلبان على الأرصفة وبدأ المسلمون في تدنيس الصلبان وإرغام المسيحيين عل الدوس عليه،[4] هكذا قد بدأت الفتنة بعدما كانت قد بدأت في زحلة ودير القمر وجبل لبنان وسهل البقاع الأوسط الغربي من جهة لبنان على مدى 8 أيام.[5] ارتكبت فيها حشود من رعاع دمشق ومن البدو والدروز والقرويين المجاورين والعسكر والأكراد بمعونة من اليهود مجازر وأعمال سلب ونهب وهتك واغتصاب للبيوت والمحلات التجارية.[6]

جرت بشكل رئيسي في حلب باب توما المسيحي وتركزت أيضا على القنصليات الفرنسية والروسية والنمساوية والبلجيكية وكذلك مباني البعثات البشرية يضاف إليهم المسيحيين

---

[1]- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 337.

[2]- محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر: محمد يحياتن، منشورات ANEP، الجزائر، 2008م، ص 182.

[3]-أحمد درويش، المرجع السابق، ص182.

[4]- محمد الشريف سحلي، المرجع السابق، ص18.

[5]- فيليب فوري، أعيان المدن والقومية لعربية، سياسة دمشق 1866م/1920م، تر: عفيف الزرار،ط1، د.ت، بيروت، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، ص23.

[6]- محمد أديب آل تقي الدين الحسني، منتجات التاريخ لدمشق، تقديم كمال الصلبي، ج2، ط1، د.ت، بيروت، دار الآفاق الجديدة للنشر والتوزيع، ص265.

الذين فروا إلى دمشق من سكان جبل الدروز والمناطق الأخرى من لبنان وبقية الأيام الثمانية مخيمة على مجمل المشهد السياسي والاجتماعي والاقتصادي لدمشق.[1]

هناك اختلاف واضح ما بين المؤرخين حول تحدد الاضطرابات ومن الذي بدأ بها الموارنة أو الدروز وبالتالي تحديد تحديد الجهة التي تقف وراء تلك الطائفة فقد تفاقمت جميع الجهات والاتهامات ما بين الرأي الذي يقول: بوجود مؤامرة يقف وراءها الانجليز ما قاله القنصل الفرنسي معتبرا زعيم القنصل البريطاني بأن اندلاع أعمال الشغب لم يكن مثيرا للشبهات وأضاف لماذا لم تتعرض القنصلية كباقي القنصليات للهجوم؟ لهذا كانت هناك صلات وثيقة ما بين البريطانيين ومصطفى بك الحواصيلي الذي اضطلعت قواته شبه العسكرية بدور بارز في أعمال الشغب.[2]

ومن جانب آخر يشير بعض الباحثين إلى أطماع فرنسا وبخاصة نابليون الثالث في المنطقة ورغبته عن طريق مشروع المهندس الفرنسي ديسليبس (Dislips eng) بشق قناة السويس، وكذلك رغبة فرنسا العارمة في ضرب صناعة الحرير المتطورة في دمشق ونقلها إلى ليون أو مستعمراتها في الجزائر مستشهدين على ذلك ما أصاب السوق العالمي في الصين وفرنسا وإمكانية احتكار السوريين لمثل هذه الصناعة وخاصة أن أغلب هذه الصناعة يقع في الحي المسيحي وهذه النهضة الصناعية كانت تتطور وتواكب آخر التطورات التقنية الصناعية العالمية في ذلك الوقت.

---

[1] ليندا شيلشر، دمشق في القرنين 18- 19، تر: عمر الملاح، دنيا الملاح، ط1، د.ت، دمشق، دار الجمهورية للنشر والتوزيع، ص116.

[2] يوسف حسن عمر، سياسة بريطانيا تجاه الأزمة السورية 1860م، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، عدد 33، حزيران، ص ص، 230- 240.

أي نظام الجلكار الميكانيكي الذي كان أول من أدخله على دمشق في خمسينيات القرن التاسع عشر الصناعي حنا بولادو وإخوته المشهورين بإنتاج "حرير البولادية" الأمر الذي أوجب تدميره بأي طريقة كانت.[1]

أما الجانب المحلي الذي كان له دور في الفتنة فيرجعه البعض إلى أعداء حركة الإصلاح والعودة للوراء هذا إذا أخذنا بالحسبان أن عددا من أعيان دمشق المسلمين كانوا يرزحون تحت وطأة ديون طائلة للأوروبيين والبيوتات المالية وللنصارى واليهود، التي امتدت حتى إلى الأراضي حول دمشق حتى بلغت بعض الديون على بعض القرى ما يزيد عن ثمنها في حال بيعها.[2]

وبالتالي كان التفكير في التخلص من كل ذلك عن طريق زج بالمدينة بفتنة تصادر فيها الأموال وأملاك جر فيها العامة، والرعاع والمتعطلين بسبب كساد حرفهم أمام المنتجات الأوروبية الرخيصة الثمن.[3]

د ـ دور الأمير عبد القادر السياسي والاجتماعي في بلاد الشام:

د ـ 1/ الأمير عبد القادر ومحاولاته أثناء الفتنة:

ما إن وصل الأمير إلى دمشق حتى انتهى دون ما يدري من طبقة الأعيان والأشراف، وكثر حوله أهل المغرب وفي هذا يذكر الحسيبي: "وصار الأمير كل من يأتي إلى عنده يعطيه ورقة

[1] توفيق يوسف بولاد، تاريخ الفنون والصناعات الدمشقية، تر: إلياس بولاد، ط1، (د.ت) دمشق، مطابع ألفيا، الأديب للنشر والتوزيع، ص105.

[2] عبد الله حنا، حركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، نموذج المدن في ظل الإقطاعية الشرقية، ط1، د.ت، بيروت، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، ص ص 255- 260.

[3] لندا شيلشر، دمشق في القرنين 18- 19، المرجع السابق، ص120.

أنه مغربي (...) إلى أن صار مقدرا خمسة ألف نفر الذين يقولوا نحن مغاربة تبع للسيد الأمير عبد القادر".[1]

كان الأمير خلال هذه المرحلة لا زال يعمل على استقرار حاله لكنه سرعان ما شغل بما يجري في لبنان من فتنة تحرق الأخضر واليابس، وأشار العديد من الشهود العيان منهم الحسيني وميخائيل مشاقة وغيرهم من الباحثين الذين استندوا إلى الوثائق للقنصليات على أن الأمير قد سعى وكاتب من أجل وقف فتنة لبنان.[2]

كان الأمير كمن يسابق الزمن فمع قدم أخبار حرق رحله ودير القمر ازداد مرق قلوب سفهاء دمشق فبعثوا إلى الدروز يغرونهم على النصارى بلدتهم ويغرونهم بمساعدتهم ويرعبونهم في أموالهم فوعدوهم بالإجابة بعد فراغهم من الجبل.[3]

ضاق صدر الأمير من الأخبار التي وصلته فخرج إلى القوم خارج الأسوار فتكلم معهم بما أثر فيهم وجعلهم يذعنون لنصائحه ووعدوه بأنهم لا يحركون في دمشق ساكنا ولا يثيرون فتنة.[4]

لجأ الأمير عبد القادر إلى والي دمشق وعبر له عن مخاوفه، فأكد له بأن ليس هناك ما يدعوا للخوف، وكل الأخبار لم تكن سوى محض إشاعات، فكرر الأمير ذلك ثانية وثالثة ولكن دون جدوى.[5]

---

[1] كناش مُحَمَّد أبو السعد الحسيبي، لمحات من تاريخ دمشق في عهد التنظيمات، تح: سلمان الصليبي، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية في بيروت، سنة22، ج2، ص170.

[2] ميخائيل مشاقة، مشاهد عيان بحوادث سوريا ولبنان، ط1، القاهرة، (د.ت)، ص413.

[3] ليندا تشيلشر،المرجع السابق، ص116.

[4] مُحَمَّد عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص93.

[5] كناش مُحَمَّد أبو السعد الحسيبي، المرجع السابق، ج2، ص197.

فما كان من الأمير إلا وبدأ الاستعداد بتجهيز المغاربة فشكل قوة تقرب من الألف خيال لعلمه بخطورة الموقف وأن ما سعى إلى تجنبه لابد أن واقع لا محالة من ذلك.[1]

كان يوم السابع والثامن كما ذكر ميخائيل مشاقة قد تكلل ببث الطمأنينة بنفوس الناس نتيجة جهود الأمير وأصدرت أمرا للكتاب بطلب من الأهالي العودة إلى أشغالهم وتهللت وجوه النصارى وتفاءلوا من هذه الهدنة، وخرج أصحاب الأعمال إلى أشغالهم وعادت الحركة التجارية.[2]

هذه القدرة على الاستشراق والقراءة الدقيقة لكافة المكونات الاجتماعية والسياسية قد جعلت من الأمير ليس مجرد داعية وإنما فاعل في كل المجالات، فالقوة التي تم تشكيلها تشير إلى هذا الاستشعار للخطر.

د ـ 2/ دور الأمير في حماية المسيحيين أثناء الفتنة:

في اليوم التاسع من تموز 1860م، هرع المغاربة إلى الأمير عبد القادر وأنفاسهم تتقطع وأخبروه بأن المدينة قد قامت وبدأت فيها فقال: "هذا ما كنا نحاذره ونحذره الناس منه قد وقع إن الله وإنا إليه راجعون".[3]

ودون أن يضيع الوقت خرج في اتجاه المدينة وأمر قواته بالخروج واتباعه إلى محل النصارى، وفي الطريق وجد جماعة من الغوغاء مع عدد كبير من الدروز فغلق الطريق أمامهم وخطب فيهم وعاتبهم وسعى إلى إقناعهم ببشاعة الجريمة التي هم مقدمون عليها "... لكنهم صرخوا قائلين ماذا أنت الذي كنت أعظم ذباح للمسيحيين تأتي لمنعنا من ذبحهم هنا في مدينتنا؟ ابتعد

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، 1982م، ص283.
[2] ميخائيل مشاقة، المرجع السابق، ص175.
[3] شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص283.

عنا... فصرخ هو فيهم: إن كنت ذبحت المسيحيين فإن ذلك كان طبقا لتعاليم شريعتنا، فالمسيحيون هم الذين أعلنوا علي الحرب والذين كانوا مدججين بالسلاح ضد ديننا.[1]

إن ذات الأمير الكلية تدرك تماما طبيعة الخطاب الغوغائي السائد فهو قد تجيش العامة في الاتجاهات اللاعقلانية بتحريك النبر والعصبية الدينية، وهذا ما تكرر في دير العازرية فقد احتمى عدد كبير من النصارى مع الرهبان ودافعوا عن أنفسهم عدة ساعات حتى جاءهم المدد من الأمير، فقام بإجلائهم إلى بيته تاركا الدير فيه لأن مهمته كانت الحفاظ على حياة البشر.[2]

ويذكر شاهد عيان على المذبحة ودور الأمير عبد القادر: "...لولا رجال الفضل وأهل الصلاح كالأمير عبد القادر، فهو الذي شاع صيته في الآفاق...، الذي كان يطوف المدينة ليل نهار برجاله المغاربة الشجعان وينادیهم: يا أمة الإسلام إن ذلك لا يجوز في شرع ديننا.

فبعد يأس الأمير من عدم الاستجابة له أمر الرجال المغاربة بالسعي في الأحياء وإحضار من يستطيعون إلى داره حتى اكتظت كل دوره بالنصارى فكان الأمير في ذلك القدوة لبعض الأعيان الذين صاروا يتبارزون فيما بينهم أمثال الشيخ سليم العطار وصالح أغاشور وعمر العابد وغيرهم.[3]

وقد أمر المذكورين رجالهم بالصياح بالناس وخاصة في المناطق التي كانوا بها قائلين: "...أيها المسيحيون، تعالوا لا تخشوا منا إننا رجال عبد القادر، وإننا هنا لإنقاذكم، تعالوا، تعالوا".[4]

---

[1] مُحَمَّد عبد القادر الجزائري، ج2، المرجع السابق، ص93.

[2] ميخائيل مشاقة، المرجع السابق، ص175.

[3] ميخائيل مشاقة، المرجع السابق، ص176.

[4] شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص283.

ونجد الأمير ثابت الموقف بالرغم من التهديد لعائلته ولحياته ففي اليوم الثالث ثار أهل مجلة الصلاحية مع أكرادها فهجموا على بيت الأمير وألحوا أن يسلمهم جميع النصارى الذين في بيته فخرج الأمير برجاله وقال: "...إنكم ستندمون حيث لا ينفعكم الندم، إني أنصح لكم أن ترجعوا عن غوابنكم وتعودواّ إلى بيوتكم وأن تسمعوا نصيحتي، أرى نفسي مضطرا لأن أريكم العجائب والغرائب...، اعدلوا عن جهالتكم.[1]

ويذكر تشرشل أنه لما اجتمعت الغوغاء في بابه تريد البطش بمن عنده من النصارى، استل سيفه في الحال، وخرج برفقته عدد كبير من رجاله وقال لهم: "أيها الملعونون هل هكذا تشرفون نبيكم؟ عار عليكم... وإنني لن أسلم لكم مسيحيا واحدا، إنهم إخوتي فافترقوا وإلا أمرت رجالي بإطلاق النار...".[2]

صارت بيوت الأمير عبد القادر المجاورة تغص بالآلاف فطلب الأمير من أحمد باشا أن يسمح لهم أن يرسلوهم إلى القلعة لكن صراخهم علا المكان بقولهم: "...نتوسل إليك يا عبد القادر لا ترسلنا إلى الأتراك..." وعاهدهم بأمنهم وعرض عليهم أن يذهب شخصيا ليوصلهم إلى القلعة.

كان الأميري عبد القادر خلال أيام لا ينام إلا والسلاح بيده فقد كان يشعر بمسؤوليته عن كل فرد فيهم، افترش على مدخل بابه حصيرا خشن ولازمه لتعطي المنكوبين شعورا

[1] إبراهيم أقدي عربلي، شاهد عيان مذبحة سنة 1860م في دمشق، مجلة الكلمة نيويورك، العدد3، السنة التاسعة، آذار، ص352.

[2] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص285.

بالأمان[1]، فداره اكتظت بموصفي القناصل على اختلاف دولهم إلا القنصل البريطاني الذي طلب النجدة لاحقا من الأمير فأرسل له قوة حلت محل القوة التركية.[2]

كانت هذه المذبحة الأليمة صفحة سوداء في تاريخ دمشق، بيضاء في تاريخ الأمير عبد القادر ومن جانب آخر فرصة تاريخية للدولة العثمانية لإحكام قبضتها فقد لحق

فؤاد باشا وزير الخارجية الإصلاحي الذي نجح في فرض تسوية مؤقتة في جبل لبنان مدعوما بأربعة آلاف جندي.

حيث سعى لتفادي التدخل الفرنسي باسم المسيحية الشرقية، فألقي القبض على الألوف من أهل دمشق وشكل لجنة مؤلفة من دمشقيين معروفين مسلمين ومسيحيين وصدرت أحكام سريعة بالإعدام والسجن والنفي، وبإعدام أحمد باشا والي المدينة وكل هذه الإجراءات تمت بسرعة قبل وصول الأسطول الفرنسي إلى مدينة بيروت.[3]

وفي أثناء وجود العساكر الفرنسية في بيروت حصل اختلاف بين فؤاد باشا والجنرال الفرنسي، فبعث الأخير رسولا مخصصا للأمير يخبره بأنه اعتمد ضرب دمشق بالمدافع فيخرج منها هو وأهله وأتباعه[4]، فاغتنم الأمير بذلك فاجتمع بالجنرال وأظهر له سوء العاقبة لما اعتمد عليه الجنرال، وطلب الأمير من الجنرال أن يخبر حكومته بأن دخول قواتها دمشق، يلغي كل تعهد من قبل الأمير بعدم العودة إلى الجزائر[5]، انهالت على الأمير كتب التكريم والتمجيد لفعله

---

[1] شارل هنري تشرشل، نفسه، ص286.

[2] ميخائيل مشاقة، المرجع السابق، ص ص، 178- 180.

[3] فيلبيا خوري، أعيان المدن والقومية العربية- سياسة دمشق 1866م/ 1920م، المرجع السابق، ص230.

[4] عبد الله حنا، حركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، نموذج المدن في ظل الإقطاعية الشرقية، ط1، (د.ت)، بيروت، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، ص268.

[5] مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص ص، 94-95.

الذي وصل أصداء العالمية وأسقط كيد الدول الأوروبية، فأخذت ترسل إلى الأمير أرفع الأوسمة اتباعا وبصورة خاصة من فرنسا وانجلترا كي لا يفتضح أمرهما عند مسيحيي الشرق.[1]

هـ ـ ردود فعل تدخل الأمير عبد القادر في الفتنة:

إن العمل العظيم الذي قام به الأمير عبد القادر أثناء الفتنة أثار إعجاب العالم ككل من مسيحيين ومسلمين، ومن الأعداء والأصدقاء على السواء، فبعد هذه الأحداث تسابق ملوك وحكام العالم في إرسال الهدايا والعطايا والأوسمة للأمير[2]، فأرسل الخليفة العثماني عبد المجيد خان، النيشان المجيدي الهاميوني العالي الشأن من الرتبة الأولى، وأرفق معه فرمان شكر وعرفان ومكافئة مادية، ثم توالت رسائل الشكر وقصائد التهنئة من الأدباء والشعراء والعلماء والأعيان المسلمين وغير المسلمين[3]، ومن بين أهم الرسائل التي تلقاها رسالة المجاهد والأسير قائد الثورة في داغستان والشيشان الشيخ مُحَمَّد شامل[4]، الذي له دور فيها عن إنسانية العمل الذي قام به أثناء الحادثة ومما جاء في الرسالة: "إلى الذي أطفأ نار الفتنة قبل أن تمتد ألسنتها، والذي اجتث شجرة العداوة التي لم تكن ثمرتها في الواقع سوى رأس الشيطان... أثنيت عليك لأن الله تعالى سيضني عليك يوم لا يغني مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم".[5]

---

[1] الأميرة بديعة الحسين الجزائري، المصدر السابق، ص ص 205- 208.

[2] الشريف سحلي مُحَمَّد، الأمير عبد القادر فرس الإيمان، تر: مُحَمَّد يحياتن، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008م، ص123.

[3] عبد الكريم منصور بن عوف، حوار مع الأمير عبد القادر، (د.ط) دار القدس العربي، الجزائر، 2012م، ص151.

[4] مُحَمَّد شميل أو شامل: ولد سنة 1799م، بدغستان في المنطقة الشرقية من القفقاز، احتلتها روسيا القيصرية ساهم في المقاومة ضد الجيش الروسي ولقد أبلى بلاءا حسنا في مقاومته غير أن تفوق الجيش الروسي لم يسمع له بمواصلة الجهاد، ونقل إلى المنفى بمدينة (كالوغا) قريبا من موسكو، 14 فبراير 1871. ينظر: أبو عمران الشيخ، مراسل الأمير عبد القادر مع الإمام شامل من القوقاز، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، ع75، الجزائر، 1983م، ص189.

[5] مُحَمَّد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ط3، (د.ت)، دار القدس العربي، لجزائر، 2009م، ص186.

أيضا من الشخصيات التي عبرت للأمير عن إعجابها، نجد أسقف مدينة الجزائر في ذلك العهد مونس نيوربا في (1866م- 1846م) ومما جاء فيها: "إن الراهب سوشي الذي كان له الشرف العظيم في رؤيتكم بسهل غريس قرب كاشروا، ثم فيما بعد بقلعة أميواز، فإنه يأتي ليعبر لكم شخصيا عن إعجابه الكبير وعرفانه الحار عن سلوككم البطولي الذي لا يقارن في المذابح الرهيبة لمسيحيي لبنان.[1]

أما النياشين والتشريفات والهدايا الأجنبية كانت كثيرة ومنها:

- هدية من الملكة فكتوريا (Victoria) ملكة بريطانيا الكبرى وكانت هديتها بندقية ذهبية مكتوب على عتبتها عبارة: "من حضرة جلالة ملكة المملكة المتحدة بريطانيا العظمى إلى صاحب السمو الأمير عبد القادر تذكارا للمساعدة الخيرية المبذولة للمسيحيين في دمشق 1860م"، وكانت الهدية مرفقة برسالة حررها قنصل دولة انجلترا في دمشق المكلف من الحكومة الإنجليزية مؤرخة في 24 أوت 1860م.[2]
- أما فرنسا فقد أرسلت نيشان وسام الشرف (légion d'honneur) من الرتبة الأولى من إمبراطور فرنسا نابليون الثالث، مرفق برسالة من وزير الخارجية مؤرخة في 24 أوت 1860م مما جاء فيها: "أيها الأمير السامي إن خبر الحوادث الشامية قد طرق مسامع الدولة الفرنساوية وإجابة لطاعة مولاي الإمبراطور، وبإرادته بادرت الآن بإعلان اعتباره السامي وتشكره الوافر.."، ويضيف الوزير في حديثه مؤكدا على المعرفة القديمة بين الأمير والإمبراطور فيقول: "أما

[1] عدنان بوزيد ونسيم، الأمير عبد القادر ملحمة الحكمة، (د.ط)، دار منشورات زكي بوزيد، الجزائر، 2007م، ص186.

[2] عبد الكريم منصور، المرجع السابق، ص151.

- الإمبراطور نظرا لمعرفته بعلي همتكم وكرم أخلاقكم فإنه لم يتعجب مما أظهرتموه من الإقدام في ذلك الوقت العصيب".[1]
- في 12 أكتوبر 1861م منح إمبراطور وملك روسيا ألكسندر الثاني للأمير عبد القادر نيشان صليب النسر الأبيض من الطبقة الأولى، وجاء في البرقية المرفقة: "اقتضى الحال أننا سميناكم من أعظم فرسان الإمبراطورية المشهورة بالنسر الأبيض".[2]
- النيشان الكبير رتبة أولى، نيشان المخلص من ملك اليونان أوتون الأول (Othon) استلمه الأمير في شهر سبتمبر 1860م.[3] "... أعطينا الأمير عبد القادر النيشان الكبير رتبة أول من صنف نيشاننا المملوكي المدعو بنيشان المخلص".[4]
- نيشان موريس والعاذر من من قاريبالدي (Garibaldi) ملك إيطاليا الجديدة وهو أقدم نياشين الخيولية والفروسية، استلمه الأمير في شهر سبتمبر 1860م [5] وقد جاء في الرسالة: "... أنا مرسل إليك الآن الشريطة الكبرى نيشان موريس والعاذر وهو أقدم نياشين الحيولة والفروسية".[6]
- منحه ملك بروسيا (guillaume) غيوم الأول صليب النسر الأحمر من الطبقة الأولى[7]، استلمه الأمير في 12 نوفمبر 1860م[8]: "منحنا للأمير عبد القادر بن محي الدين نيشان النسر الأحمر من الطبقة الأولى، أما ملكة إنجلترا في 1860م بعثت

---

[1] مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص98.

[2] مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص99.

[3] عبد الكريم منصور بن عوف، نفسه، ص152.

[4] مُحَمَّد بن عبد القادر، نفسه، ص100.

[5] عبد الكريم منصور، نفسه، ص153.

[6] مُحَمَّد بن عبد القادر، نفسه، ص99.

[7] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السالبق، ص176.

[8] عبد الكريم منصور بن عوف، نفسه، ص152.

بندقية مرصعة بالذهب كهدية شكر وعرفان[1]، شكرا وعرفانا بإنجاز الأمير عبد القادر، وأرسل له البابا وسام بيوس التاسع وأمريكا أرسلت مسدسين مرصعين

- بالذهب[2]، أما الشعراء فقد مدحوا بقصائد عديدة نظيرا لمواقفه الشريف[3] منهم الشاعر الشاعر أمين الجندي، سليمان الصولة، الشاعر إبراهيم الأحدب نائب المحكمة الشرعية بيروت.[4]
- أما الملوك والأمراء والقادة السينيين فقد وجهوا تحياتهم إلى العمل الإنساني الذي قام به الأمير فكتب السيد بيجر (beger) القنصل العام لروسيا في بيروت، في تقرير إلى سفير روسيا في القسطنطينية السيد روستوفسكي لوبانوف (lubanov rostoviski) ، في جوان 1860م: "... هوجم منزل نائب قنصل روسيا ونهب، أنقذ السيد ماكييف على عجل وهو حاليا عند عبد القادر، كما لجأ إلى الأمير أيضا السيد لانوس، مسير قنصلية فرنسا، ونائب قنصل اليونان[5]، وهو ما يدل على العمل الكبير الذي قام به الأمير وأتباعه الجزائريون حيث أنهم تمكنوا من مساعدة مجمل قناصل الدول الأوروبية المسيحية أما أهالي دمشق المسيحيين فكتبوا يوم 1860/07/11م إلى بطريك أنطاكية: "... عند حلول الليل، وجدنا أنفسنا مجتمعين في دار الشهيد عبد القادر الجزائري، الطي لا يمكن أن يكون حضوره في هذه الأماكن وفي هذه الظروف، إلا بحكمة إلهية.[6]

---

[1] مُحَمَّد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص99.

[2] بوعلام بسايح، الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا من لويس فليب إلى نابليون الثالث، المرجع السابق، ص 226.

[3] فؤاد صالح السيد الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المرجع السابق، ص301.

[4] نفسه، ص301.

[5] فؤاد صالح السيد، المرجع نفسه، ص287.

[6] نفسه، ص287.

كانت مراسلات الممثلين الدبلوماسيين إلى أمراء وقياصرة الدول الأوربية كلها تتحدث عن الموقف المشرف للأمير عبد القادر اتجاه مسيحيي دمشق.

كما بعث له الرئيس الأمريكي "أبراهام لنكولن" بمسدسين خاصين بالخيالة عام 1860م وأهدته الدولة السويسرية وساما كما ذكر.

أما الجامعات التي بعثت له برسائل مجاملة وتقدير كثيرة نذكر منها:

- جمعية المصابين في البر والبحر، التي جاءت منها رسالة تقدير وقرار بمنحه عضوية الشرف.[1]
- الجمعية الأمريكية المشهورة باسم الشرقية.[2]
- الجمعية الفرماسونية التي بعثت له برسالة تقدير تثني عليه من دون منحه عضوية الشرف.[3]

نوهت كبريات الصحف العالمية وأشادت بخصال الأمير عبد القادر الكريمة ومواقفه الإنسانية ومما جاء في إحدى الصحف مقولة أوردها مُحَمَّد بن عبد القادر في مؤلفه حيث ذكرت هذه الصحيفة: "يوجد في ذات عبد القادر شخصان أحدهما الأمير العدو المخيف للفرنسيين .. والثاني الأمير الموجود الآن في سورية المخلص لألوف من النفوس في حادثة دمشق المهولة سنة ستين فالأمير هو الرجل الوحيد الذي ظهر في مكانين بعيدين بصورتين مختلفتين وأمسى الفرنسيون مدينون له بدين هو مجبرون على أدائه له.[4]

---

[1] مُحَمَّد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في ..، ج2، المصدر السابق، ص137.

[2] وذان بوغوفالة وآخرون، الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014م، ص76.

[3] مُحَمَّد بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص123.

[4] مُحَمَّد بن الأمير عبد القادر، المصدر نفسه، ص ص، 113- 114.

إذن أول من منح الأمير عبد القادر تقديرا أو نيشانا أو رسما، هو الخليفة والسلطان العثماني لأن موقف الأمير كان في صالحها، ونصرة سلطانها ولذلك استحق التكريم وأما النياشين والأوسمة الأوربية فقد قدموها له عرفانا وتشكرا عما قام به في حق النصارى لأن سكوتهم سيفضح نواياهم أمام نصارى الشرق ويكشف ادعاءاتهم الغيرة على أبناء دينهم، لذلك لم يكن أمامهم حل سوى تقديم الهدايا والنياشين للأمير وشكره عما فعله. وإن العمل الذي قام به الأمير يعد من أعظم الأعمال التي خلدت إنجازات الأمير وانتصاراته.

و ـ وفاة الأمير عبد القادر:

لقد نشأ الأمير في صحة كاملة وافية لم يتغير فيه شيء في أيام شبابه وكهولته من قوته شيء، ولا من أحواله، ثم عرضت له أمراض حال شيخوخته فتلقاها بقوة القلب وحسن الصبر فكان مع ما يقايسه من شدة الألم ويعانيه في معالجته لم يظهر ضجرا ولا تأوها، ولا يترك الصلاة تفوت وقتها، وكان قليل الكلام إلا فيما يخص مرضه[1]، فقد حف نشاطه وجهده، وأثناء تلك الأيام زاره الأديب التونسي "مُحَمَّد السنوسي" فأكرمه وأحسن ضيافته، وذكر الأديب جزءا من سيرته ومرضه بعد ذلك في كتبه الرحلات الحجازية.

في بداية شهر ماي 1883م،كان معتكفا بمضيق دمر في قصره، يتهجد ويبتهل لربه، اشتد عليه المرض فزاده الضعف إلى أن دعاه مولاه إلى سعة رحمته في الساعة الرابعة من ليلة السبت 19 رجب 1300هـ الموافق لـ 24 ماي 1883م[2] لبى نداء ربه بنفس راضية مرضية عن عمر قد ناهز 76 حولا، واهتزت دمشق وما جاورها لهذا المصاب الجلل، وسرعان ما ذاع الخبر في جميع الأنحاء فعم الحزن والأسى كل من يعرف الأمير عبد القادر.[3]

---

[1] مُحَمَّد بن الأمير، تحفة الزائر، ج2، المصدر السابق، ص305.

[2] المصدر السابق، ص305.

[3] نفسه، ج2، ص856.

وقد تولى غسله وتكفينه "عبد الرحمن عليش" أحد علماء الأزهر، حيث صلوا عليه بالجامع الأموي ثم شيعه أهل دمشق في موكب مهيب، بدموع وبقصائد رثاء سطرت بمداد مضيء.

- يذكر عادل الصلح عن تشييع جنازة الأمير عبد القادر قائلا: "... لقد كانت الطرق من أبواب المنزل إلى الجامع الأموي مكتظة بالناس على اختلاف مراتبهم ومذاهبهم، حتى لو ألقي عليها التراب لما لامس الأرض، ثم خرجوا به إلى الجامع يتقدمهم مئات من المشايخ والقراء،
- وأصحاب الطرائف مهللين مكبرين، ورجال الشرطة وعدد كبير من العساكر النظامية ويليه جمع لا يحصى من العلماء الأعلام والأمراء العظام والوجهاء الكرام رحمة الله عليه...[1]
- فساروا بجنازته إلى أن دفن بجانب الشيخ "محي الدين بن عربي" ما أعظمه مفقودا وما أكرمه موجودا.[2]
- يذكر عبد المجيد لجاني أنه كان للشعراء في ثنائه موسم عظيم، وفي رثائه مأتم جسيم، فنظم بمدحه قصائد عديدة واصطنع سبع مقامات أعدت للمباركة له بكل سنة جديدة، أسندت روايتها لسعد بن بشير مع ابن حفص المصري وفي ذلك ما قاله من القصائد.[3]

أأسلوا ونفسي للمعالي طموحة ومن ذا الذي يعطي فيأبى المعاليا

وآية حي للعلا أن يرى الورى بمدح أمير العارفين افتخاريا

أمير وأنى للملوك سلوك ما تقدس من أخلاقه وهي ما هيا

[1] عادل الصالح، سطور من الرسالة، المرجع السابق، ص95.

[2] محسن بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص306.

[3] عبد المجيد بن مُحَّد الخاني، الحدائق الوردية، المصدر السابق، ص375.

جلال ولا كبر وعلم ولا خفا وكم صام أياما وأحلى لياليا

كما رثاه بأبيات كتبت على لوح من رخام ضريحه بالذهب، مشتملة على تاريخ وفاته وإشارة لا تخفى على أهل الأدب فقلت:[1]

سل أفق صار مشرق دارتي قمرين هلا من ديار المغرب

الشيخ محي الدين ختم الأوليا قمر الفتوحات الفريد المشرب

والأمير عد القادر الحسني السني قمر المواقف ذا الوالي ابن النبي

من نال مع أعلى رفيق أرخوا أزكى مقامات الشهود الأقرب

ويضيف قائلا:[2] "أنه آية من آيات الله تعالى، وأن الله وملائكته في السماء، ورجالا في الأرض الأنبياء والرسل والأولياء الصالحين .. إنا لله وإن إليه راجعون ..."

فهنا بعد نقطة النهاية وليست النهاية فمن ترك موقفا نبيلا لا يموت ولكن يتوفى، ومن ترك علما لا يموت بل يتوفى ومن ترك من يشهد له بكل أعماله هو لم يمت بل توفي.

[1] عبد المجيد بن مُحَّد، المصدر السابق، ص375.

[2] نفسه، ص377.

الملاحق

الملحق 01: الامير عبد القادر في قصر امبواز.

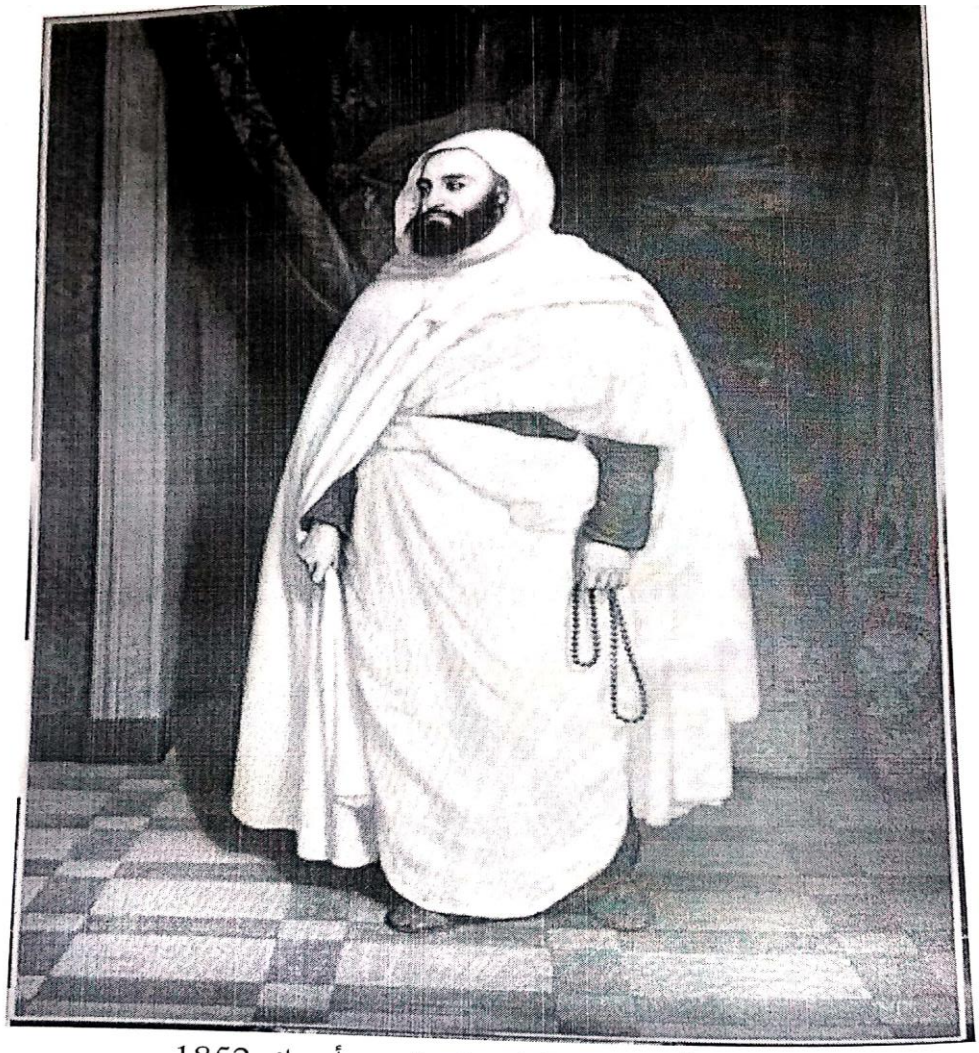

رسم للأمير عبد القادر في قصر أمبواز 1852
الرسام : تيسيي أونج (Tissier Ange)

1 ـ بديعة الحسني ، وما بدلو تبديلا، تفاصيل دقيقة عن حياة الامير عبد القادر وجهاده وهجرته الى بلاد الشام، دار الفكر العربي،2002م، نفسه، ص 303.

الملحق02: صورة لشجرة الدردار حاليا.

الملحق رقم 02: شجرة مبايعة الأمير عبد القادر

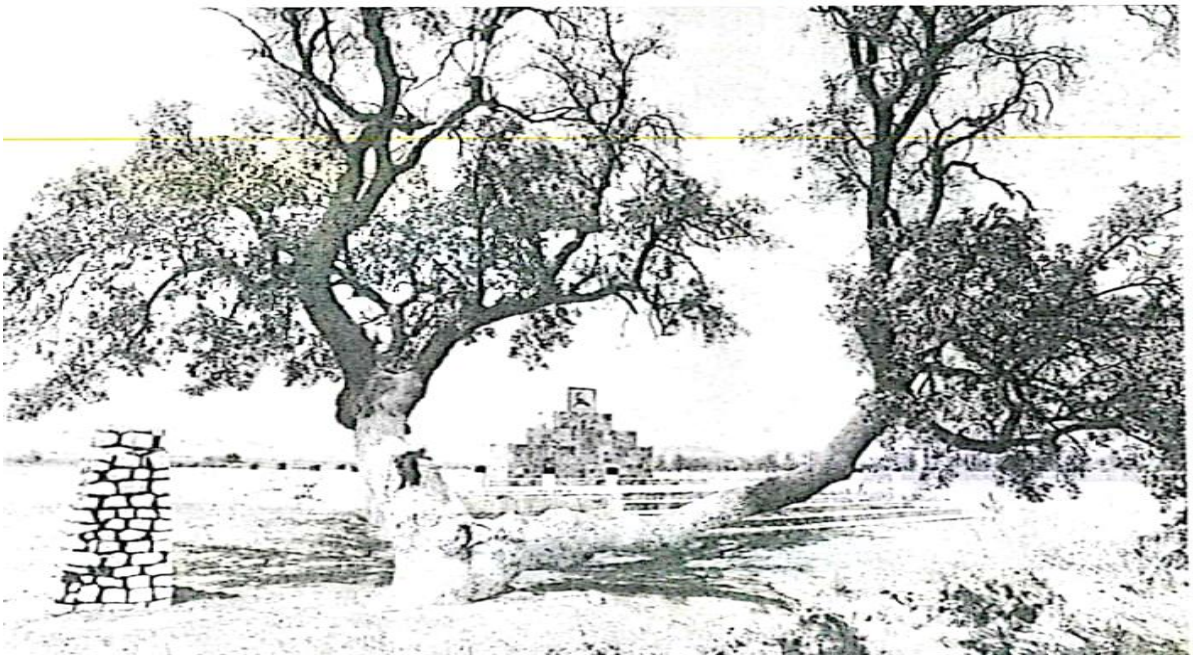

الملحق3: رسم يوضح مبايعة الامير عبد القادر.

2 ـ 3 ـ بديعة الحسني، المرجع السابق، ص 277.

الملحق 04: مقر نفي الأمير عبد القادر (امبواز)

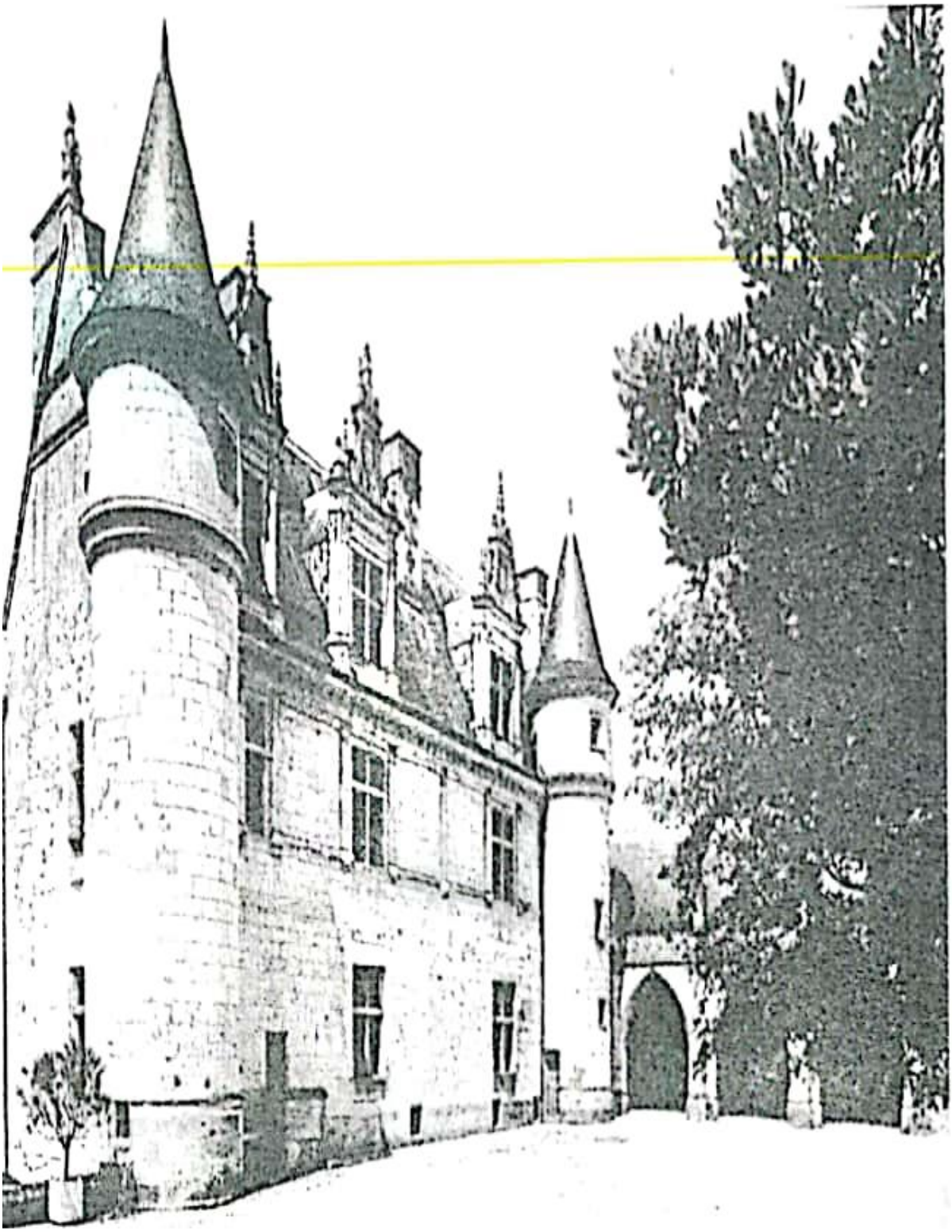

4 ـ بديعة الحسني، المرجع السابق، ص293.

الملحق: 05: يوضح المجازر المصاحبة لأحداث الستين

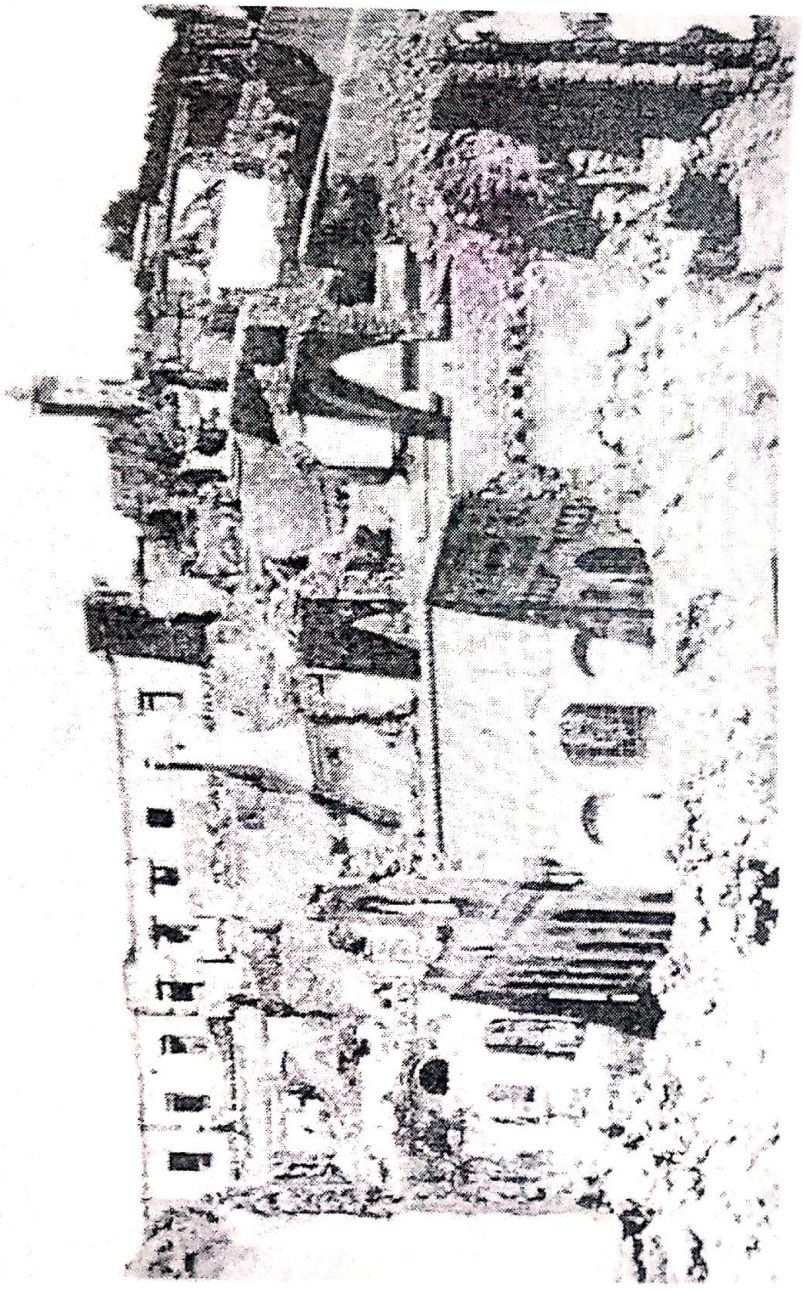

الدمار الذي لحق بالحي المسيحي في دمشق عقب أحداث 1860.
المصور: فيكتور نو دي شامبلويس (Victor Nau de Champlouis).

5ـ الأنترنت: موقع وزارة المجاهدين صور متعلقة بالأمير

الملحق06: يوضح بيت الأمير عبد القادر في لبنان.

الملحق07: صورة تبين استقبال الدمشقيين للأمير عبد القادر

6ـ 7ـ برونو اتين، عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر، ط1، لبنان، 1997م ، ص ص، 119.118.

الملحق: 08: الصورتان توضحان مساعدة الأمير عبد القادر للمسيحيين في بلاد الشام.

8 ـ برونو اتين، عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، المرجع السابق، ص121.

الملحق: 09

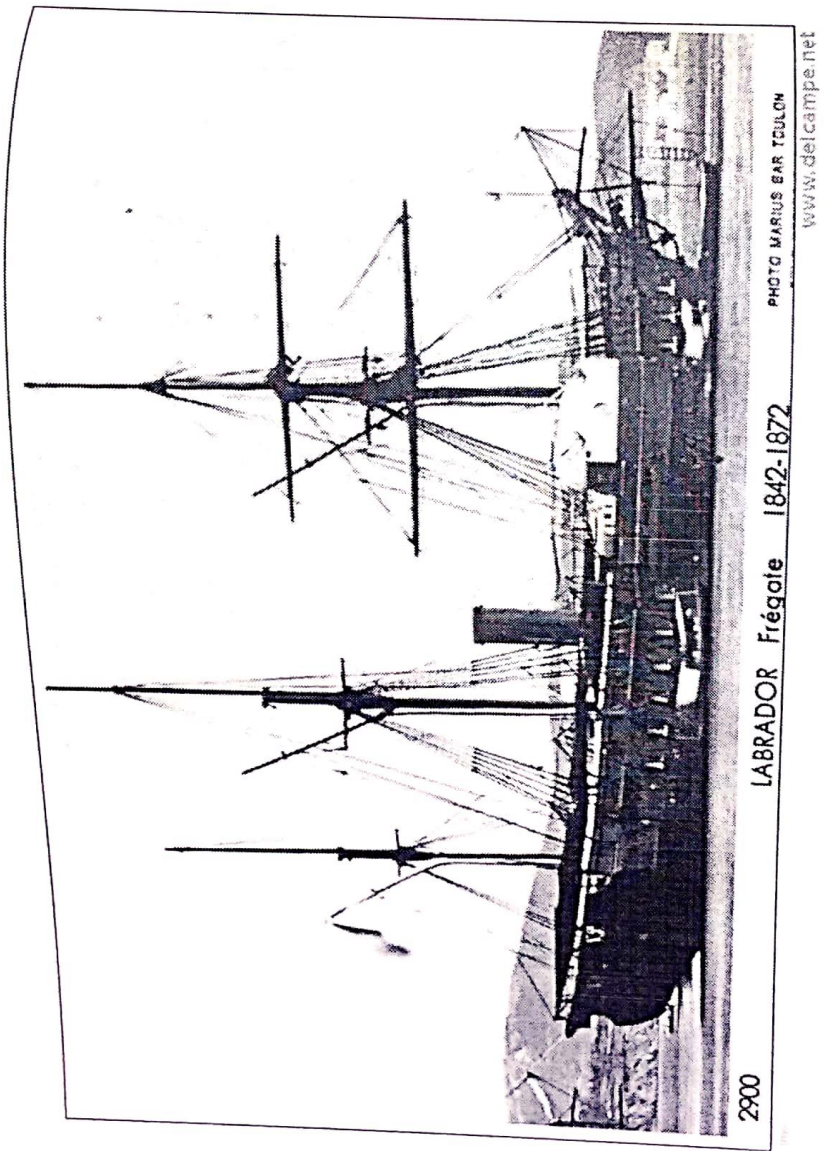

«لابرادور» السفينة التي نقلت الأمير عبد القادر من فرنسا إلى اسطنبول سنة 1852.

9 ـ الأنترنت: **WWW.DELCAMPE .NET**

خاتمة

خاتمة

لقد كانت مقاومة الأمير عبد القادر و محاولته بناء دولة جزائرية حديثة لمسة ايجابية للوضع الذي يتخبط فيه العرب و المسلمون بعد ان فقدو جزءا كبيرا من قدراتهم الذاتية، فالدارس في سيرة الأمير الجهادية يرى بوضوح كم كانت ايجابية الى حد بعيد وذلك لتوفر ثلاث جوانب مكملة لبعضها البعض، ولأن مهمة الأمير كانت حاسمة فقد سطر هدفه المنشود في بناء دولة تسمح للجزائر بالمقاومة كدولة قائمة بذاتها، مبنية على ثلاث جوانب اساسية تمثلت في الجانب العسكري و السياسي والثقافي الديني. ما تطلب منه تحقيق بعض المبادئ الضرورية لمشروعه نخص بالذكر:

1. الجانب السياسي مثل عقد معاهدات والمفاوضات مع السلطات الاستعمارية معرفة بالجزائر كدولة تدافع عن سيادتها.

2. الجانب الدبلوماسي تجلى من خلال تدويل القضية الجزائرية دوليا عن طريق إدماج العلاقات الدولية في القضية الجزائرية من خلال الرسائل و الاتصالات الخارجية.

3. الجانب العسكري كوسيلة، بمعنى ان الحرب بالنسبة له اداة لترجيح الكفة بين القوى المتصارعة سياسيا.

4. المسألة الاتصالية الحضارية كونه كان يدرك تماما الصراع الحضاري بين الشرق و الغرب جعله يهتم ببناء دولة جزائرية حديثة تلم شمل ابنائها من اجل الاتحاد والتضحية في سبيل الله و الوطن.

وبالتالي فان الأمير في هذه المرحلة كان حالة استثنائية في عصره لذا يجب دراسته بطريقة تتم وفق مسار عصره وما انجزه حين ذاك، و رغم ان الامير كان في مأزق لا يستهان به الا انه استمرار مقاومته فقد تظافرت الظروف في وجه هذا المشروع الذي اندى جبين القوات الاستعمارية الفرنسية ولعل ابرز هاته العقبات تمثلت فيما يلي:

1. محاصرة القوات الفرنسية للأمير تخوفا من تأثيره السلبي وتهديده لمطامع الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

2. التفكك الاجتماعي بظهور الزعمات المحلية وتمزق التركيبة الاجتماعية في الجزائر.

3. انهيار التضامن السياسي المؤيد للمقاومة الأميرية خاصة بعد ظهور مطامع السلطان المغربي في أواخر مشوار المقاومة الأميرية.

وبهذا تم انهاك الطاقة العسكرية لجيش الامير عبد القادر مما أدى الى نهاية مشروعه سنة 1847م وذلك بعد ان تيقن ان مشروعه لا يمكن ان يستمر لا جزئيا ولا كليا باختلال ميزان القوى بعد ان بقي وحده مع مشروع الجهاد فقرر وقف القتال بصفة شخصية، وفق شروط حددها ووافق عليها لاموريسير ابن الملك الدوق دومال منها انتقاله واتباعه الى عكا او الاسكندرية وبذلك انهى الامير مقاومته فلا الجزائر انهزمت ولا فرنسا انتصرت، وأمنت لتستمر الجزائر كدولة مقاومة تحافظ على ديمومتها اما فرنسا فقد ارتأت أن مشروعها لن يتحقق الا اذا:

1. لفظ مشروع الأمير انفاسه الاخيرة وزواله بصفة نهائية.

2. محاولة فرنسا القضاء على الرمزية الأميرية حتى لا يبقى رمزا للهوية الجزائرية وهي قضية خطيرة كانت تهم وتشغل الامير دوما.

لكن شروط المعاهدة التي أبرمها الامير عبد القادر والجنرال لاموريسير وصدق عليها الدوق دومال سرعان ما ضربت عرض الحائط ليعتقل الامير واتباعه وقد شكل ذلك حدثا فخريا لفرنسا ومن خلال هذه الدراسة توصلنا الى بعض النتائج نخص بالذكر منها :

1. لقد كان اعتقال الامير تعسفيا بدون اي ضمانات قانونية.

2. عدم نجاح مبادئ الثورة الفرنسية ما دام انها لم تطبق اسس المساواة والعدل لقضية اعتقال الأمير عبد القادر.

3. تحويل القصور في فرنسا الى معتقلات وما اثار حفيظة الرأي العام وهو خير برهان على اعتقال التعسفي للأمير ورفاقه خاصة بعد نقض معاهدة الاستئمان.

ولكن ابت الاقدار الا ان نكتب للأمير نفسا جديدا في بلاد الاسلام قد تخفف عليه العناء الذي عاشه في المعتقلات الفرنسية وما عاشه من غربة وفقدان للأحبة و الأبناء، ومن رفاقه عندما قرر نابليون الثالث اطلاق سراحه وموافقته على الانتقال الى بلاد مسلمة فتوجه الى تركيا حيث اقام في مدينة بروسة قبل ان ينتقل الى دمشق التي استقر فيها حتى وفاته، ومن خلال دراستنا حاولنا ابراز الاثر السياسي الذي احدثه الامير عبد القادر الى المشرق العربي خاصة. وانه كان على علاقة واسعة مع معاصريه من ملوك ورجال السياسة والعلم، وتبادل معهم الرسائل والتهاني والهدايا ولعل اشهرهم الباب العالي للدولة العثمانية و ملكة بريطانيا و نابليون الثالث، ونستخلص من خلال ذلك بعض النقاط منها:

1. تحلي الأمير عبد القادر بروح الثقافة والتسامح والتعاون بين بني الامة الواحدة، وبين الانسان على اختلاف اديانهم وطوائفهم اذ انه لم يكن يعتبر العدو عدوا إلا إذا اعتدى مثلما تعامل مع اسراه في الحروب، ايضا تصرف على نفس المنوال اتجاه نصارى الشام في الستين.

2. لقد عرف الأمير ببساطة وزهد شديدين ورفضه الرئاسة وذلك لما استخلصه من حياته الجهادية في الجزائر ومعاناته اسيرا في فرنسا ، فقد كان يرغب في ان يقضي بقية حياته في العبادة والدراسة وهذا ما تناوله برونو اتين من خلال كتاب الأمير "مملكتي ليست من هذا العالم ".

3. ان موقف الامير من الدولة العثمانية كان مسؤولا الى ابعد الحدود فبالرغم من ادراكه قوة الدول المتربصة بها، ومدى الضعف الذي وصلت اليه الدولة العثمانية الا انه ظل وفيا لمبادئه وولائه للخليفة و الحفاظ على وحدتهم وهو ما يفسر موقفه اتجاه وجهاء و زعماء الشام في حركتهم الانفصالية عن الخلافة العثمانية.

4. لقد ساهم الامير عبد القادر في توعية وتنبيه العرب والمسلمين الى الخبايا والدسائس التي كان يحيكها الاستعمار من زرع للفتن وسعيه لتمزيق الوحدة المألوفة فيما بينهم ، وبسط نفذه على اساس سياسة " فرق تسد " وخير برهان تهربه من العرض الذي تقدم به نابليون الثالث لإمارة الشام، ورفضها الأمير جملة وتفصيلا.

5. انصراف القوى الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا لأن الأمير ليس الرجل الذي يعولون عليه لتنفيذ مخططاتهم في المنطقة فانصرفوا عنه.

ومهما يكن فإن دراستنا هي مجرد محاولة متواضعة عرجنا فيها على جانب من حياة الرجل، الرمز لتاريخنا الحديث والمعاصر ليبقى شغلا شاغلا للناس في حياته وبعد مماته ، ويبقى هذا الموضوع في حاجة للمزيد من الأعوام وعمق في الدراسة، ولا يسعنا الا ان نتمنى ان نكون قد وفقنا في عملنا المتواضع .

" فإن اصبنا فمن الله وحده وإن اخطأنا فمن انفسنا والشيطان "

وخير ما نختم به قوله تعال: بعد بسم الله الرحمان الرحيم

" لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شيء و هدى و رحمة لقوم يؤمنون"

صدق الله العظيم

قائمة البيبليوغرافيا

. القرآن الكريم

. قائمة المصادر باللغة العربية:

1 - أبكريوس إسكندر بن يعقوب ، نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان، تر: عبد الكريم إبراهيم السمك، رياض الريس للكتاب والنشر، د ط، بريطانيا، 1987م.

2 - تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو قاسم سعد الله، ش، و، و، ط، ح، الجزائر.

3 - بن التهامي مصطفى، سيرة الإمام عبد القادر وجهاده، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

4 - الجزائري الأمير عبد القادر ، المواقف، ج2: صورة من النسخة الأصلية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1996م .

5 - بن عثمان خوجة حمدان ، المرآة، تق تح مُحَّد العربي الزبيري حاج ، منشورات ، الجزائر، 1982م.

6 -كارل بيرنت يوهان ، الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1996م.

7 - مُحَّد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتحقيق: ممدوح حقي، ج1، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت، 1984م .

8 - عبد الرزاق البيطار ، حلية البشري تاريخ القرن الثالث عشر، تج: مُحَّد بهجة البيطار، ج 2، ط 1، دار صادر، بيروت، 1963م.

9 - عبد القادر الأمير الجزائري، مذكرة الأمير عبد القادر مسيرة كتبها في السجن، تح: مُحَّد الصغير البناني، دار الأمة، ط2، الجزائر، 1998م.

10 - ـــــــــــــــــــ ، ديوان الشاعر الأمير عبدالقادر، تحقيق وتقديم العربي دحو، منشورات تالة، ك2، 2007م.

11 ـ بن رويلة قدور، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تح: مُحَمَّد بن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1986م.

. قائمة المراجع باللغة العربية:

1 . أباضة نزار، الأمير عبد القادر الجزائري، العالم المجاهد، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1994م.

2 . احميدة عميراوي، موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

3 . إيتين برونو، عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، تر: ميشيل خوري، دار الفكر، ط1، لبنان، 1997م ، ص 27.

4 . بدوي عبد الرحمن ، الدروز فصل من كتاب مذهب الإسلاميين، م2، ط1، بيروت 1973م.

5 ـ بلاح بشير ، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830م إلى 1989م، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006م .

6 . بسايح بوعلام ، عبد القادر في دمشق وإنقاذ 12 ألف مسيحي الأمير الإنساني العالمي، ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر وحقوق الانسان، قصر زيغود يوسف، الجزائر، 25 ماي 2008م.

7 . بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962م،

ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

8 . بوطالب عبد الرزاق، الأمير عبد القادر والأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، د ط المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009م.

9 . بوعزيز يحي ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار الغرب، ط1، بيروت.

10 . ـــــــــــ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط2، دار كتاب الجزائر، مطابع دار الفكر، دمشق، 1964م.

11 . ـــــــــــ، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط.خ، الجزائر، 2009م.

12 . بوغوفالة وذان وآخرون، الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، جامعة بسكرة، الجزائر، 2014م.

13 . جرانت آرثر جيمس وهارولد تمبولي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950، ج 1، تر: بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، ط6، القاهرة، د ت.

14 . جزار أحمد كمال ، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، راجعه وقدمه مُحَمَّد زكي إبراهيم، ط 1، دار العشيرة المحمدية، 1997م.

15 . حرب أديب، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر 1808م- 1847م، ج1، الش.و.ن.ت، الجزائر، 1983م

16 . حليم إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، التحق العلمية في تاريخ الدولة العلية، ط 1، م.ك.ث. ط.ن.ت، بيروت، 1988م.

17 . الحسني بديعة، الجزائري ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين سيرته المجيدة، ط2، مطبعة السلام، دمشق، 1992م، ص 16.

18 ـ ـــــــــــــ، الجزائري ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين سيرته المجيدة، ط2، مطبعة السلام، دمشق، 1992م، ص 16.

19 ـ ـــــــــــــ، وما بدلوا تبديلا، تفاصيل دقيقة عن حياة الأمير عبد القادر وجهاده وهجرته إلى الشام، دار الفكر العربي، بيروت، 2002م.

20 ـ ـــــــــــــ، فكر الأمير عبد القادر الجزائري، حقائق ووثائق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2000م.

21 ـ الحسيبي كناش مُحَّد أبو السعد، لمحات من تاريخ دمشق في عهد التنظيمات، تح: سلمان الصليبي، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية في بيروت، سنة22، ج1، 2008م.

22 ـ الخالدي سهيل ، الإشعاع المغربي في المشرة، ط 1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997م.

23 ـ الدبس يوسف ، الجامع المفصل في تاريخ الموصل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1905م.

24 ـ درويش احمد، في صحبة الاميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، موسوعة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م.

25 ـ مالكي امُحَّد، الحركات الوطنية والاستعمار بالمغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1994م.

27 ـ المحامي مُحَّد كامل حسن، عظماء الإسلام الأمير عبد القادر الجزائري، د.ط، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.

28 ـ مُحَّد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، قسم من كتاب الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ج، د.س.

29 . مُحَمَّد السيد الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، مكتبة الملك فيصل، 1984م.

30 . مراد بركان مُحَمَّد ، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، د.ط، دار النشر الإلكتروني، الجزائر، 1990م.

31 . صالح السيد فؤاد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

32 . عبد الرحمن عبد الوهاب، تاريخ العرب الحديث، (1781م:1920م) دراسة في التنافس الأوروبي الاستعماري على البلاد العربية"، دار القلم، دبي، د.ت.

33 . عطى الله الجمل شوقي، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

34 . العسلي بسام، الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، ط1، بيروت، 1980م.

35 . بن عوف عبد الكريم منصور، حوار مع الأمير عبد القادر، د.ط، دار القدس العربي، الجزائر، 2012م.

36 . بن السبع عبد الرزاق، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، د ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإيداع السعري السعودي، 2000م.

37 . سليمان نوار عبد العزيز وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر وأوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

38 . ـــــــــــــــ ومحمود مُحَمَّد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م.

39 . سليمان عشراتي ، الأمير عبد القادر السياسي، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط3، 2009م.

40 . السنوسي مُحَمَّد ، الرحلة الحجازية، تح: علي الشنوقي، الش.ت.ت، الجزائر، 1978م.

41 . سعد الله أبو قاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج3، الش. و. د. ت، الجزائر، 1978م.

42 . ــــــــــــــ، الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، ق1، 1992م.

43 . ــــــــــــــ، مُحَمَّد الشاذلي القسنطيني، 1807م-1877م، دراسة من خلال رسائله وشعره، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

44 . سعيدوني ناصر الدين ، عصر الأمير عبد القادر، الأمانة العامة لماجد الحكواتي الجزائر، 2000م.

45 . شلشير ليندا، دمشق في القرنين الثامن عشر، تر: عمرو الملاح، دينا لملاح، مراجعة عطاف ماردني، دار الجمهورية، بيتموني وشركائه، ط1، دمشق، 1998م.

46 . يحي جلال : "المغرب الكبير"، ج3، دار النهضة العربية، 1971م، بيروت.

المذكرات :

1 . حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844م-1870م، تيارت – سعيدة – جيرفيل – البيض – نماذجا، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف الأستاذ صم منور، 2008م – 2009م.

2 . كريمة حرشوش، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه، الأمير عبد القادر وإسهاماته في النهضة العربية بالجزائر وبلاد الشام 1832-1860، إشراف حمدادو بن عمر، 2017.

3 ـ عفاف دحمان، دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة، المنطقة الغربية (1830م- 1847م) نموذجا" مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الجزائر العام والمعاصر، إشراف أ. حرشوش كريمة .

الملتقيات:

1ـ إسماعيل زروخي، مساهمة الأمير عبد القادر في النهضة العربية الحديثة، الملتقى 26-27 نوفمبر، الجزائر، 1998م.

2 ـ القاسمي عبد المنعم ، الأمير عبد القادر من خلال مخطوط نادر لأبو حامد العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأوائل فيما ينتظم من أخبار الدول، الملتقى الدولي الخاص بالأمير عبد القادر، الجزائر، ماي، 2005م.

3 ـ حنا عبد الله ، حركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، نموذج المدن في ظل الإقطاعية الشرقية، ط1، د.ت، بيروت، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع.

المجلات والجرائد:

1 . البدري مُحَمَّد عبد الستار، نابليون الثالث ودروس للشعوب، جريدة الشرق الأوسط، ع 11973، 9 سبتمبر 2011م.

2 . بن عائشة الطاهر، جوانب حساسة في حياة الأمير عبد القادر، مجلة ألوان الجزائر، 1983م، ع54 .

3 . التركي رابح، الأمير عبد القادر وأثر بيئته الثقافية التي نشأ فيها في تكوين شخصيته، مجلة الثقافة، العدد 88، جويلية، 1985م.

4 . جرير أحمد، نبذة عن حياة الأمير عبد القادر، مجلة ألوان، العدد 75، 1983م، وزارة الثقافة والسياحة.

5 . عربلي إبراهيم أقدي ، شاهد عيان مذبحة سنة 1860م في دمشق، مجلة الكلمة نيويورك، العدد3، السنة التاسعة، آذار.

6 ـ عمر يوسف حسن ، سياسة بريطانيا تجاه الأزمة السورية 1860م، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، عدد 33، حزيران.

قائمة المصادر والمراجع باللغة الاجنبية

أ ـ المصادر: (Les sources)

. Alexender Bellemar, Abd-el kader savie politique. Et militare, libraire de l, hachette et cie, paris, 1863

.Churchuill, la vie d'Abdelkader, M, H, Alger, 1981

.François Antoine Alby, les verpes marocaines ou les derniers prisonniers d'Abdelkader, ELN, Paris, 1853

.François Charles Theouare, Touchard la fosse, histoire de la gendarmerie d'afrique d'après les douimant de larmée 1830, 1860., L.A.B.E, 1860

.Jean josiph, français pourjolat. Etude ofucaine. Recits et pensée d'un voyageur. Pc. Paris, 1847

.Harace de viel castel, mémoire du comte de viel castel, E.F.F, paris, 1864

.Lesuri, CL:Amuaire historique, Paris, 1848

.petit lorousse en couleurs, hbairie larousse, edition 1986, paris, september 1985.

ب ـ المراجع: (Les ouvrages)

.Juliane (Ch, A), l'histoire de l'Algérie Contemporaine, conquête colonisation 1827-1871, Paris, 1864

.Paul Azan, Sidi Brahim, Dichormare Biographique international de etruvains par Henry Cornoy, ELF, Paris, 1902.

.Renépilloyet, les deux voyages de Napolion 3 en Algérienne (1860 et 1865) pevue du souvenir Napolionien, n 363. Année 1989

. Saint Duclimel d'Alger dans les affections chronique de la poitrine, M. I. L, Paris, 1856.

فهرس المحتويات:

كلمة شكر

الاهداء

المختصرات

المقدمة..... (أ– هـ)

الفصل الأول: I. نبذة عن حياة الامير عبد القادر الجزائري .....(**06**)

أ - نسب الأمير عبد القادر.....(07)

ب - ميلاد الامير عبد القادر ونشأته.....(09)

ج - رحلة الأمير عبد القادر مع أبيه إلى الحج.....(12)

د - مبايعة الأمير عبد القادر قائدا و مجاهدا.....(14)

د - 1/ البيعة الأولى الخاصة.....(15)

د - 2/ البيعة الثانية (العامة).....(16)

هـ - استراتيجية الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة.....(19)

هـ - 1/ على الصعيد السياسي..... (19)

هـ - 2/ على الصعيد العسكري..... (19)

هـ - 3/ بناء مؤسسات الدولة.....(20)

الفصل الثاني: II حياة الامير عبد القادر في المنفى من 1847م. 1855م.....(**22**)

أ - خطة الجنرال بيجوbugeaud للتغلب على الأمير عبد القادر.....(23)

ب - المعارك الأخيرة للأمير عبد القادر واحتضار جيش الأمير (المقاومة).....(26)

ب - 1/ معارك الأمير عبد القادر الاخيرة مع الفرنسيين.....(25)

ب - 2/ المعارك الأخيرة للأمير ضد المغاربة.....(30)

ج - معاهدة الاستئمان 22 ديسمبر 1847م.....(33)

ج - 1/ التقرير بالإجماع لوقف القتال.....(33)

ج - 2/ مصادقة الدوق دومال على التعهد المقدم من لامورسير.....(34)

د - اعتقال فرنسا للأمير عبد القادر ونقضها الغادر للعهد.....(38)

هـ - الوضع العام في فرنسا إبان أسر الأمير عبد القادر.....(40)

و - 1/الحياة اليومية للأمير عبد القادر بطولون.....(42)

فهرس المحتويات:

و - 2/ مواصلة معاناة الأمير ورفاقه في المعتقل.....(44)
و - 3/ استمرار معاناة الامير عبد القادر في قصر امبواز.....(46)
ز - لقاء الأمير عبد القادر بنابليون الثالث وإطلاق سراحه.....(47)
ن - انتقال الأمير عبد القادر إلى تركيا (1853-1855).....(50)
ن - 1/ الأمير عبد القادر في ضيافة السلطان العثماني.....(50)
ن - 2/ استقرار الأمير عبد القادر في بروسة.....(52)
الفصل الثالث: - اسهامات الأميرعبد القادر العلمية والدينية، السياسية والاجتماعية فترة وجوده ببلاد الشام .....(54)
أ - وصول الأمير عبد القادر إلى دمشق.....(55)
ب - نشاط الأمير عبد القادر االديني و العلمي في بلاد الشام.....(57)
ج - أوضاع بلاد الشام ووصول الفتنة الى دمشق.....(62)
ج - 1/ وضع الطوائف في بلاد الشام.....(62)
ج - 2/ الأسباب العامة التي أدت إلى ظهور الفتنة.....(64)
ج - 3/ فتنة دمشق 1860م.....(69)
د - دور الأمير عبد القادر السياسي والاجتماعي في بلاد الشام.....(72)
د - 1/ الأمير عبد القادر ومحاولاته أثناء الفتنة.....(72)
د - 2/ دور الأمير في حماية المسيحيين أثناء الفتنة. .....(73)
هـ - ردود فعل تدخل الأمير عبد القادر في الفتنة.....(78)
و - وفاة الأمير عبد القادر.....(83)
خاتمة .....(**86**)
الملاحق .....(**90**)
قائمة البيبليوغرافيا.....(98)